8me Année No. 340

Lundi - 8 - 1 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة

مـ	
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع البدوى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٤٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٨ ذو القعدة سنة ١٣٥٨ — الموافق ٨ يناير سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــــرس

هل خصب الأرض يستلزم جدب القرائح ؟

من الأقوال المأثورة أن الحاجة تلد الاختراع وتفتق الحيلة . وهذه الحاجة التى ضمّنها الله عمارة الأرض ورقى العالم ، هى التى جعلت بيئة الفقر مهبط الإلهام ومنبت العبقرية . فأينما تجد الحاجة تجد العمل والذكاء والقوة ، وحيثما تر الغنى تر الكسل والغباء والرخاوة . ذلك لأن الفقير يضطره العيش إلى أن يفكر فيجيد التفكير ، وإلى أن يعمل فيتقن العمل ، وإلى أن يهاجر فيزداد بممارسة الشدائد ومنافسة الناس جلاء فى الذهن وبسطة فى العلم وسعة فى الحيلة . ومواهب العقل كأعضاء الجسد تقوى وتنمو بالكد ، وتضعف وتضمر بالعُطلة . ولا يصعب عليك أن ترى مصداق ذلك فى الفروق الذهنية والعملية الواضحة بين أبناء الفقراء وأبناء الأمراء ، وبين سكان مصر العليا وسكان مصر السفلى ، وبين بلد كدمياط وبلد كالفيوم ، وبين مدينة كأثينا ومدينة كرومة فى الغرب القديم ، أو بين قطر كفينيقية وقطر كالعراق فى الشرق الغابر . ففى كل من ذكرت لك ترى أن جدب الأرض وضحولة الموارد كانا علة فى إخصاب العقول وإنماء المدارك وكثرة الإنشاء ووفرة الإنتاج ، وأن خِصب البلد وسهولة الأرزاق كانا سبباً فيما أصاب بعض

الناس وبعض الأجناس من البلادة والقعود والترف والنفلة

* * *

تستطيع أن تقول إن مصر فى جملتها بلد غنى يؤتى أكله كل حين بيسير الجهد وقليل النفقة : فأهله آمنون من موت الجوع، لأن الفقير يملك أن يمسك روحه بنصف قرش، وما أيسر ما يجد قرشين فى اليوم بالعمل الحقير أو السؤال الملحف . ومتى حصل المرء من بلده على الكفاف والراحة والأمن، نشأت فى نفسه فضيلة القناعة الزائفة. والقناعة فى الفقير كالثروة لدى الغنى، كلتاهما تقتل طموح النفس، وتسكّن قلق الروح، وتخمد نشاط القريحة، وتحمل الرجل على الرضى بالدون والتسليم بالواقع

هذا الفقير القانع الذى لا يحس بالحاجة فلا يسعى للغنى، وهذا الغنى الوادع الذى لا يشعر بالنقص فلا يطمح إلى الكمال، هما الأثر السيء لتدليل النيل لبنيه وحدبه البالغ على أهله. فالفلاح لا يزال يزرع الأرض بالآلة القديمة على الطريقة القديمة، لأنه لا يجد فى نفسه الحاجة التى تحفزه إلى اختراع آلة وابتكار طريقة ما دامت أرضه تغل عليه ما يكفيه بهذه الأداة الرخيصة السهلة

والصانع لا يزال يصنع بيده كل اليوم ما تصنعه الآلة فى بعض الساعة، لأنه يجد فى جيبه آخر النهار ما يملأ به بطنه بخبيص الطعام وغليظه ؛ فعلام يشغل ذرعه بما يقلل النفقة ويكثر الإنتاج ويحسن النوع ؟

والطالب يقصر جهده على استظهار المختصرات لأن الامتحان لا يخرج عن هذه المذكرات، والوظيفة لا تطلب إلا بعضاً من الحساب وشيئاً من المصطلحات ؛ وما غناء العلم بعد أن ينال المتعلم الشهادة والوظيفة ؟

والمعلم يحصر نشاطه فى كتب الدراسة وما يتصل بها من مقترح التمارين وموضوع الأسئلة وحلول المسائل ، ثم لا يفكر بعد ذلك فى درس مشكلة من مشكلات التربية، ولا حل معضلة من معضلات المجتمع، لأنه ضمن لنفسه المرتب آخر الشهر والعلاوة آخر المدة

والكيميائى أو الفزيائى يبلغ الدرجة الجامعية العليا فى الكيمياء أو الفزياء، ثم يعلم أن أقرانه فى البلاد العاملة الجادة لا ينفكون يسخّرون للمدنية والانسانية قوى المادة وأسرار الطبيعة فى شكول مختلفة ومظاهر متعددة : فى البيت والمدينة، وفى السماء والأرض، وفى السلام والحرب ، ولا يفكر عالمنا الكبير أن يزيد فى العلم بكشف مجهول، أو يرفه عن العالم باختراع آلة ، لأنه لا يبتغى شيئاً وراء اللقب الفخم والمرتب الضخم والحياة الوديعة

والطبيب أو الصيدلى يجعل كل همه فى رواج عيادته أو صيدليته، لأن المال هو غايته من الطبابة أو الصيدلة ، فإذا بلغها على حساب الطب المحفوظ أو الدواء المجهز فلماذا يكدر صفو عيشه بالاحتباس فى معمل ينقب عن جرثومة مرض، أو يجرب مفعول مصل ؟

والسياسى أو المصلح يتوخى بعمله مجد الشهرة وجاه الحكم ، فإذا أدركهما بتملق الجمهور أو بعصبية الحزب فلا عليه بعد ذلك أن يظل حزبه من غير منهاج ولا غاية ، وأن يزاول عمله الخطير من غير خلق ولا دراية . وإذا كان الرمق فى هذا البلد يسد بنصف القرش ، والوظيفة تنال ببعض العلم ، والمنصب والمرتب يعطيان بمضى المدة ، والشهرة والجاه يدركان بإرضاء العامة ، والزعامة والحكم يُلقيان باحتراف السياسة ، فأى شيء يدعو إلى زيادة العلم وإطالة الفكر وإدامة العمل وإضاعة الجهد والعمر فى تحرير مسألة ، أو تأليف كتاب، أو متابعة كشف، أو محاولة اختراع، أو وضع خطة للاصلاح ، أو تدبير سياسة للحكم ؟

* * *

حاولوا يا قوم أن تهذبوا القناعة فى ذهن الفقير برفع مستوى عيشه وإصلاح فساد ذوقه ؛ وحاولوا أن تخلقوا الحاجة فى نفس الغنى بتشويقه إلى الكمال المطلق وترغيبه فى المثل الأعلى، فإنكم إن تحجّم فى زعزعة الرضا فى القانع المعترّ وفى الواجد المقترّ، ساورهما القلق الروحى الحافز الذى لا يقنع بما دون الغاية، ولا يرضى للغير بأقل مما يرضى للذات

حاولوا أن تحملوا العلماء والأدباء والأطباء بالجوائز والألقاب على الإنتاج الأصيل والتأليف المبتكر والبحث المنتج حتى ينشأ فيهم على طول الزمن والمران حب البحث لفائدة العلم، وحب العمل لمنفعة الناس

ثم حاولوا وحاولوا أن تقيسوا كفايات العاملين وأقدار النابغين بغير مقاييس المحاباة والزلفى والقرابة ، فإن كثيراً من الأكفاء إنما زهدهم فى العمل والإصلاح اليأس من الإنصاف والقنوط من المكافأة !

احمد حسن الزيات

ماذا ربحت وماذا خسرت

من أسواق السنة الماضية ؟

للدكتور زكي مبارك

كتب إليَّ أحد تجار الورق يقول : إنه يرجو أن أرسل إليه ما بقي له عندي ليسوي حساب تجارته في سنة ١٩٣٩

وأنا أيضاً أريد أن أسوي حسابي مع قومي وزماني ، حساب سنة ١٩٣٩ فقط ، أما حساب الأعوام السوالف فهو عبء ثقيل والرجوعُ إليه ضربٌ من الخذلان . وأين أنا مما فات ومات ؟ يرحم الله جهادي في سبيل الأدب والبيان !

ربحت في العام الماضي أشياء ، وخسرت أشياء !

وأعظم ربح ظفرت به في السنة الماضية هو الصداقة العظيمة التي تفضل بها قراء مؤلفاتي ومقالاتي ، فأنا اليوم أشعر شعوراً قوياً بأن لي أهلاً وعشيرة في سائر الأقطار العربية ، وهذا الشعور يزحزح ما يعترض طريقي من عقبات وأشواك ، وبفضل ذلك الشعور أكاد أنسى الأعاصير التي تثور في وجهي من حين إلى حين

والكاتب كالموسيقار يسره أن يعرف أنه موصول الأواصر بالعواطف والقلوب ، فمن حدثكم أنه لا يهتم بسخط القارئ أو رضاه ، فاعرفوا أنه يقترف إثم الغرور البغيض ، أو الكذب السخيف .

وتعظُم قيمة هذا الربح في قلبي كلما تذكرت أنه بشيرٌ بقيام دولة قوية للأدب العربي ، وهو أدب كان يسيطر في ماضيه على كثير من الأمم والشعوب ، فإن استطعنا أن ننتفع بعواطف القراء ونجذبهم إلى الأدب من جديد كان ذلك مجداً ندفع به عُدوان أهل البغي على الآداب والفنون

وما الذي يمنع من أن يكون للقلم دولة في هذه البلاد ؟

أتصدّقون ما يلقيه الضجر على أقلامنا من وقت إلى وقت حين نتهم مصر بالجحود والعقوق ؟

إن مصر في تاريخها القديم والحديث قد استمعت كل قول ، واستجابت لكل نداء ، فكيف يتوهم الكاتبون والباحثون أنهم لن يلقَوا فيها غير الضياع ؟

ثم أقول إن العام الماضي كان من الأعوام التي اختبرت فيها أخلاق . ومعاذ الأدب أن أدّعي التفرد بكرم الأخلاق ، وإنما هي حيلة أتوسل بها لخلق فرصة أنوح فيها على أخي وصديقي محمد الهراوي . وهل ذرف الزيات من الدموع على ابنه رجاء ، أو ذرف هيكل من الدموع على ابنه ممدوح ، بعض ما سكبت من دم القلب على صديقي محمد الهراوي ؟

كان من عادتي أن أرتاد ملاهي القاهرة في المواسم والأعياد لأفهم شيئاً من أسرار المدينة التي تصنع اليوم بأذواق الشرق ما تصنع . فمن يصدّق أن شارع فؤاد صار في عيني صورة من صور الإقفار والإمحال ، لأنه خلا من وجه الصديق الغالي ، وجه محمد الهراوي ، وجه الأخ الذي عرفت بفقده كيف يكون الجزع على فقد الرفاق

وهل تسمح الدنيا مرة ثانية بصديق مثل ذلك الصديق ؟

وأين الصديق الذي تصحبه عشرين سنة فلا ترى منه غير كرم العهد وصدق الوفاء ؟

أين الصديق الذي يرى من السعادة أن يكون رأيه من رأيك وهواه من هواك ؟

إن دموعي على محمد الهراوي دلتني على جوانب من أخلاق ، وشرفتني أمام نفسي ، وفرضت عليّ أن أومن بأني رجل له قلب.
فلا كان الصبر عنك يا أكرم ذاهب وأعزَّ فقيد

وكان من مغانم السنة الماضية أن تصير اللغة العربية لغة الدرس في كلية الطب وكلية العلوم ، وهي دعوة عانيت فيها من الشقاء ما عانيت . فمن قال إنه دعا إلى هذه الفكرة مرة أو مرتين أو مرات فأنا جعلتها حُلماً أهتف به في يقظتي ومنامي أكثر من خمس عشرة سنة . وبسبب الإلحاح في نشر هذه الدعوة رآني بعض أقطاب الجامعة المصرية من الثقلاء ، وأوصدوا في وجهي كثيراً من الأبواب . فإن قال أعضاء المؤتمر الطبي العربي بعد أسبوعين إنهم قرروا تدريس الطب باللغة العربية في كلية الطب بالقاهرة فليذكروا مشكورين أنهم سفّهوني علانية يوم التقينا في بغداد سنة ١٩٣٨

وفي العام الماضي قُدّمت لكلية الحقوق رسائل لامتحان الدكتوراه باللغة العربية ، وقال قائل : إن في ذلك مجاراة للنزعة القومية ، فمن واجبي نحو نفسي وأنا رجل مظلوم في وطني أن أقول إن ذلك لم يقع إلا طلباً للسلامة من القلم الذي شن الغارة على من يقبلون رسالة باللغة الفرنسية عن الدّية في الشريعة الإسلامية

ولتلك المركة ذيول فصلتها فى كتاب « البدائع » وفى رسالة « اللغة والدين والتقاليد » وفى كتاب « الأسمار والأحاديث » فإن غضب وزراء المعارف الذين حاربتهم من قبل فليعرفوا أنى أديت إليهم بذلك التوجيه أعظم الخدمات. وحسبهم من الشرف أن يسمعوا كلمة الحق من رجل ليس له فى الحكومة عمّ ولا خال

وفى العام الماضى قررت وزارة المعارف تأليف كتاب للمطالعة فى المدارس الثانوية من صميم الأدب الحديث، وأنا صاحب هذا الرأى، وقد شغلتُ نفسى بالدعوة إليه أكثر من عشر سنين.

وفى العام الماضى قضت الظروف بأن تقبل وزارة المعارف إسناد تعليم اللغات الحية فى المدارس الثانوية إلى المصريين، فليتها سمت الدعوة التى أذعتها منذ أعوام طوال، الدعوة إلى أن يكون مدرسو اللغات الحيــة من المصريين لنخلق جيلاً من المتفوقين فى اللغات الأجنبية، وليكون بيدنا الأمر فى تكوين الثقة بالعزيمة الوطنية

وفى العام الماضى ... ما هذا؟ ما هذا؟

أرانى أنحدر إلى هاوية المنّ الممقوت، فلأرجع إلى تدوين ما خسرتُ فى السنة الماضية:

فى سنة ١٩٣٩ نسيت أنى موظف بالحكومة المصرية فوقع قلمى فى أغلاط لا يقع فيها الموظفون « العقلاء »

أنا من كتّاب الطبقة الأولى بشهادة أعدائى، ولكنى لم أخط خطوة واحدة فى كسب حق جديد لحرية الأقلام. كنت أستطيع أن أنتفع بالدكتور هيكل باشا، ولكننى لم أقابله إلا حين دعانى، وقد هجمت عليه فى جريدة المصرى مرتين. وكنت أستطيع أن أنتفع بمعالى النقراشى باشــا، وهو رجل مُشرق العقل، ولكنى قصرت فلم أقابله غير مرتين، كنت فى الأولى مهنئاً، وهى زيارة لا تتسع لبحث ولا درس، وكنت فى الثانية مقروناً بجمهور المفتشين بالتعليم الثانوى، وهو مقام لا يتسع فيه المجال لغير الشؤون الرسمية

أليس من سوء البخت أن يكون لنا وزير مثل النقراشى باشا ولا أظفر منه بشىء لحرية الأقلام؟

كنت أحب أن أطلب إجازة طويلة لعام أو عامين لأحقق مشروعاً عجزت عن تحقيقه فى بغداد وهو تأليف كتاب عن أبى تمام إمام المبتكرين فى القرن الثالث، فهل شغلت نفسى بتقديم هذه الرغبة إلى معالى النقراشى باشا وهو من وزرائنا الأدباء؟

وكنت أحب أن أقترح إنشاء قلم خاص بمراجعة ما يُكتب عن مصر فى الأقطار العربية، فهل شغلت نفسى بتقديم هذا الاقتراح إلى رئيس الوزارة المحمدية أو رئيس الوزارة الماهرية؟

دونت هذه الآراء فى كتاب « ليلى المريضة فى العراق » ولكن من يضمن أن يكون هذا الكتاب مما يقرأ الوزراء؟

ماذا خسرتُ فى العام الماضى؟ ماذا خسرت؟

كان عندى مشروع عظيم هو ربط الأمم العربية والإسلامية برباط وثيق من الحب والعطف

فما الذى صنعت لتحقيق ذلك المشروع العظيم؟

ضيعت العام الماضى - وا أسفاه! - فى مجادلات ومشاغبات نفعُها قليل، وانصرفت عن تحقيق ذلك المشروع الجليل

فمن يُسعدنى على بكاء ما ضيعتُ من أمانىّ وأحلامى؟

وكان فى نيتى أن أخلق عُصبةً للخير من أصدقاء كلية الآداب، كنت أحب أن أنظّم سلسلة للدراسات الأدبية والفلسفية أصنع بها فى القاهرة بعض ما يصنع أساتذة كلية الآداب فى الجيزة، فأين أنا مما أردت؟ وأين ما صنعتُ لكلية الآداب وفوق ثراها سكبت عُصارة صباى؟

وكان فى نيتى أن أكوّن مكتبة عظيمة مما أصدر المتخرجون فى كليــة الآداب ثم أسوقها فى عربات رزينة إلى قصر صاحب الجلالة الملك فأين ضاعت تلك النية؟ وما مصيرها فى تاريخ العقول؟

وكنت أحب أن أقوم بدراسات قوية أحدد بها اتجاه الأدب الحديث فى مصر والمغرب والشام والعراق، فأين من يعزينى على ضياع هذا الأمل الغالى؟

وكنت أشتهى أن أزور الحجاز لأكتب عن وطن الرسول كتاباً لا يعرف الزور ولا الرياء، فأين ضاعت أحلامى؟

وكنت أتمنى أن أؤرق غفوات المغرورين من « أعلام » الأدب الحديث، فإلى أى أفق من آفاق الضياع ضاع أملى فى تأديب أولئك « الأعلام »؟

كنت وكنت وكنت، فما الذى صنعت السنةُ الماضية بأغراضى وأحلامى؟

(للحديث شجون) زكى مبارك

ألمانيا بين نيتشه وهتلر

« دين القوة »

للأستاذ عبد المجيد نافع

حين أوشكت صحيفة القرن التاسع عشر أن تطوى نشرت فى أوربا راية دين جديد ، ذلك هو دين القوة ، وكان حامل لوائه بل رسوله المبشر به هو الفيلسوف الألماني فريد رش نيتشه

على أنّا نحب أن نبدد وهماً قد يعلق بالأذهان ، فنسارع إلى القول بأن عبادة القوة والإيمان بأثرها الحاسم فى حياة الأفراد والشعوب ، دين قديم جديد ، اعتنقته الإنسانية فى كل مراحل التاريخ من غير أن تجهر به ، فكبدها كل ما أنفقت من دموع ودماء

وفى الحق أنك لو جردت الإنسان من طلاء المدنية ، ذلك الطلاء الذى هو بمثابة القشرة الخارجية التى يصطنعها ليخفى تحتها أطماعه تارة ، وضعفه طوراً ، لتبدّى فى ثياب الإنسان الأول بكل ما فيه من مظاهر الوحشية والهمجية والقسوة

والحق للقوة — كلمة قالها بسمارك الألمانى رجل الدم والحديد. ولو أن النصر لم يعقد بلوائه فى حروبه مع الدانمرك والنمسا وفرنسا لنادى بأن الحق فوق القوة . ولو أن القوة حالت بين هتلر وبين أن يزدرد النمسا ، ويثنى على ازدرادها بتشيكوسلوفاكيا لملأ فمه بكلمات العدالة والحق والمساواة والحرية

ولكن نيتشه ، رسول القوة ، يتفرد بأمور : منها أنه صبغ الدين الجديد بالصبغة الفلسفية ، ورسم له الحدود والمعالم ، ودعمه بأسانيد الواقع والتاريخ . ولعله يتميز بين جبابرة العقول وحملة لواء الفكر الإنسانى ، بصراحته الوحشية التى مزقت قناع الرياء عن وجه الإنسان

ولا نحسب أن مفكراً طبع العصر الحديث ، فى الغرب ، بطابعه الفكرى ، مثل نيتشه . وإذا كان ماكيا فيللى أستاذ كثير من السياسيين ، فإن نيتشه أستاذ الدكتاتوريين ، وخاصة زعيم النازية

نعم ، هو ملهم النازيين ومهبط وحيهم ، هتف بدين القوة والسلطان ، وتلقف زعماء ألمانيا الحديثة تعاليمه ، فأفرغوها فى قوالب التطبيق العملى ، غير متأثمين ولا متحرجين ، إذا كان تطبيقها يجرح شعور العدالة ، أو يثير الضمير الإنسانى

كان صاحب دعوة القوة يحمل على الديمقراطية حملاته الشعواء بدعوى أنها من أقوى مظاهر الانحطاط والانحلال فى أوربا العصرية ، وكذلك يذهب دعاة النازية هذا المذهب . فما كادت ألمانيا تنسحب من عصبة الأمم فى عام ١٩٣٣ حتى قال هتلر ، فى أعقاب ذلك الانسحاب ، لبعض صحبه : « لن تعود ألمانيا إلى عصبة الأمم الديمقراطية بحال . فقد دبت فيها عوامل الفساد ، وقضت عليها الديمقراطية بالفناء والدمار »

وينادى زعماء النازى بأن ألمانيا تهيئ الجو لانقلاب جديد ، وأن على العالم أن يمشى تحت رايتها . وكان المبشر بدين القوة ، بعد أن ظن أنه حطم أصنام الأوهام الموروثة من دين وعلم وفلسفة وفن وأخلاق وديمقراطية ، وأقام على أنقاضها القيم الأخلاقية الصحيحة ، واكتشف الإنسان الأعلى ، أنه قد مهد الطريق لظهور الإنسانية الجديدة البريئة من شوائب الضعف والانحلال المرتكزة على دعائم القوة والسلطان

وأسر الفوهرر إلى بعض رفاقه أنه على تمام الأهبة لأن يضع توقيعه على أى اتفاق ، ويضمن أية حدود ، ويمضى ميثاق عدم اعتداء مع كائن من كان ، على أن ينقض كل أولئك ، فى دم بارد وضمير جامد ، إذا اقتضته قوة ألمانيا وعظمتها . وجاهر رسول القوة بأن الضعيف يبتغى السلام والوفاق والمساواة والحرية ، لا يشرئب بآماله إلا إلى الاحتفاظ بذاته . ولكن القوى يؤثر أن يثير المشكلات وعظائم الأمور . الضعيف يضمر الكيد فحسب ؛ فأما القوى فيهجم غير وان ولا متردد ؛ فإن القوة التى تغيض بها جوانب نفسه تحفزه إلى التوثب والانقضاض

وأعمل نيتشه معاوله حتى ظن أنه نقض القيم الأخلاقية من أساسها . فالشفقة لديه بغيضة لأنها من أخلاق العبيد ، والقسوة فى عرفه مرضية لأنها من أخلاق السادة . تلك شرعة الضعفاء وهذه شريعة الأقوياء . ولا يتحرج من أن يجهر بأن الشفقة هى فضيلة المومس ، وينادى مع شاعر الأساطير الشمالية القديمة :

« إن فوتان (كبير الآلهة فى تلك الأساطير) قد وضع فى صدرى قلباً قاسياً » . ثم يهتف : « من الواجب عليك القسوة . فمن هذا الطريق وحده يسمو الإنسان إلى أعلى حيث يقابله البرق ويحطمه : فلترتفع إلى البرق ارتفاعاً كافياً » . ذلك بأنه يرى أن القسوة أعظم شىء يفضى إلى تقوية الإنسان وترويضه على ملاقاة الأخطار ، وشحذ همته للنهوض بجلائل الأعمال ، على حين لا شىء أخطر على المجتمع من الرحمة بالضعفاء والعاجزين ، إذ تنهض عقبة فى سبيل قانون الانتخاب الطبيعى وبقاء الأصلح . فنواميس الطبيعة تقضى بإبادة الكائنات الضعيفة وإفنائها من الوجود . وأما نحن فنتحدى قوانين التطور ، ونعمل على أن نحيل العالم إلى ملجأ الضعفاء والعاجزين .

ومن ذا الذى تداخله أثارة من الشك فى أن هذا ما يدين به جماعة النازى ؟ أرأيت كيف نكلوا برفاقهم فى الجهاد يوم قاموا بعملية التطهير بين صفوفهم فى عام ١٩٣٤ حين زعموا أنهم وقد اختمرت فى رؤوسهم فكرة الجريمة ، أخذوا يدبرون فى الظلام ومن خلف الأستار مؤامرة واسعة النطاق ترى إلى هدم نظام الحكم النازى ، وتحت ستار هذه الدعوى أجهزوا على طائفة من رؤوسهم وفى طليعتهم روهم ؛ وكذلك لم يبقوا على شليخر وزوجه !

وهل أتاك حديث الجستابو وما يجرى من أعمال القسوة فى معسكرات الاعتقال التى تضم الخصوم السياسيين الذين يظن فيهم أو يلمح من ثنايا حركاتهم أنهم يعتزمون الانتقاض على حكم النازى ؟

ثم هل جاءتك أنباء تنكيلهم بكل من يحاول كسر القيود من الأمم التى غلبوها على أمرها وأخضعوها لحكمهم عنوة واقتدارا؟

ويبرر أولئك الدكتاتوريون قسوتهم بأن سلامة الدولة قبل كل شىء وفوق كل اعتبار

ويتخذ النازيون العنف عقيدة ويعدون الرحمة خوراً فى الطبيعة ويؤمنون بالقوة إيماناً عميقاً ، القوة الخالية من شوائب الشفقة والرحمة ، المتجردة من هواجس الضمير ومن عوامل الضعف الإنسانى ، القوة التى تذهب إلى حدود الوحشية أحياناً ؛ فإذا وقف الضمير فى وجه القوة ، وعاق نهوضها إلى الأمام ، كان ذلك آية على الضعف والانحلال ، ومظهراً من مظاهر انحطاط الفرد والجماعة

وفى كتابه « كفاحى » لا يكتم زعيم الريخ الثالث ازدراءه لما تواضع الناس على أنه رحمة ، وما اصطلحوا على أنه إنسانية .

ويدين جماعة النازى بالمبدأ القائل : بأن « الحرب الدائمة » هى حالة المجتمع الإنسانى فى المستقبل ، وأن على كل أمة أن تعد لها العدة ، وأن تتنكر للسلام ، ولا تتجهم للحرب . فالسلام يقتل حيوية الأمم ، فأما الحرب فتتغذى تلك الحيوية ، ولا يجنح للأول إلا الأمم المترفة المستسلمة ، ولا ينزع لخوض غمرات الثانية إلا الذين يفيضون بالفتوة والعزة . فألمانيا تبتغى « تقسيم العالم من جديد » كما يقول وزير دعايتها جوبلز . لا، بل يزعم فيلسوف النازية روزنبرج أن الشعب الألمانى خلق للسيادة ، ولا مندوحة عن أن يبسط سلطانه على العالم ، ليهيىء حضارة أعلى

وفى سبيل فرض السيادة على الدنيا يرى القابضون على مصاير ألمانيا أن لا بد لها من التسلط على المستعمرات والطرق الرئيسية للبحار

وتطوف بأحلام النازيين خيالات غريبة ، وتصور لهم أوهامهم ما لا يمكن أن يتعلق به أمل ، فتراهم يقولون إن مأساة مونيخ قد كشفت عن ضعف انجلترا وشيخوختها ، وأن لا بد لهم من إضعاف انجلترا ، وتحطيم الامبراطورية البريطانية ، تلك الامبراطورية التى قال عنها كبيرهم أدولف هتلر وهو يحلق فى أجواء الخيال : « إن الإمبراطورية البريطانية تمثال ضخم هائل يقوم على رجلين من طين »

فأما فرنسا فيجمح الخيال بزعماء النازى فيقولون عنها إنها « أمة تحتضر » فلا يقام لها فى ميدان الصراع الدولى وزن أو اعتبار !

ولسوف تصدم الحقائق زعماء النازى صدمات قاسية أليمة ، وتوقظهم من أحلامهم إيقاظاً خشناً ، وإذ ذاك يعلمون إلى أعماق أية هوة ساقوا بلادهم !

ولعلهم حين تساورهم الأحلام فيتعلقون بأهداب تلك الأمانى الباطلة يؤمنون فى أعماق نفوسهم بقول الفوهرر : « إن كل

أكذوبة يمكن أن تساغ وتهضم ، على شرط أن تكون من الضخامة بمكان »

وليس بطمع الريخ الثالث فى أن : « يتخذ له مكاناً ليعيش فيه » وإنما بتشبث بالأمانى الكاذبة فتجمع به القوة الغاشمة إلى حد الطموح إلى ضم الدنيا بأسرها تحت علم الصليب المعقوف !

والسياسة العنصرية التى طبعت تصرفات حكومة النازى إنما هى منبعثة عن تلك العقيدة الخاطئة وهى أن العنصر الآرى قد خلق للسيادة بينا خلقت العناصر السامية للعبودية !

وترى النازيين ينفخون تلك الروح فى شبابهم ، ويملأون بها جوانب نفوسهم فينادى نشيد الشبيبة الهتلرية :

« اليوم نملك ألمانيا ، وفى غد نملك العالم بأسره »

والآن فمن الذى أضرم نيران المطامع فى نفوس الألمان حتى أشعلوا نار الحرب الحاضرة ؟ إن الذى أجج تلك الروح إنما هو داعية دين القوة ، والمبشر بالإنسان الأعلى ، فريدرش نيتشه

لقد تروعك مبادئه وتعاليمه ، بل لقد تهولك قسوته وعنفه ، ولكن لا مفر من إجالة الفكر فى تلك التعاليم والمبادئ إن كنت تبغى مواجهة الحقائق مهما كانت قاسية وأليمة ، وكنت تريد أن تعلم من هو موقد نيران الحرب الحاضرة ، ومشعل الحرب العالمية من قبل

يذهب نيتشه إلى أن من أقوى الدلائل على الخور والاستسلام الذى أصاب المدنية فى القرن التاسع عشر ، وتفشى بين صفوف أبناء الغرب ، تحصنهم خلف ما يسمونه السلام الدائم ، وتذرعهم بما يدعونه الإنسانية التى هى أنشودة الضعفاء ، ورمز الانحلال ، وعنوان الاضمحلال ؛ لأن الحرب الدائمة ، على ما فيها من كوارث وويلات هى الحالة الضرورية لنهضة الأفراد والشعوب .

ويذهب الفيلسوف الهدام إلى أن الغريزة التى تسير الإنسان وتطبع كافة تصرفاته ، إنما هى غريزة حب السيطرة ، وإرادة القوة . وعنده أن الخير هو كل ما يعلو فى الإنسان بشعور القوة وإرادة القوة ، والقوة نفسها ؛ وأن الشر كل ما يصدر عن الضعف ، وأن السعادة فى الشعور بأن القوة تنمو وتزيد ، وأن لا رضى ، بل قوة أكثر وأكثر ، ولا سلام مطلقاً بل حرباً ، ولا فضيلة بل مهارة ، وأن الضعفاء العجزة يجب أن يفنوا ، وأن هذا هو أول مبدأ من مبادئ حبنا للانسانية ، وأن أشد الرذائل ضرراً إنما هى الشفقة على الضعفاء العاجزين .

وينادى نيتشه بأن مذهب داروين فى « تنازع البقاء » مذهب باطل ، فليست الحياة تنازع البقاء ، وإنما هى تنازع القوة وتنازع السيطرة . وما تاريخ الإنسانية إلا سلسلة متصلة الحلقات من تنازع السلطان والغلبة والقوة بين السادة وبين العبيد . فأما العبيد فيخترعون قيماً أخلاقية لا غاية لهم منها إلا إخضاع السادة لهم عن طريقها ، وإن هى إلا أسلحة مسمومة يستخدمونها رجاء أن يتحرروا من نير سادتهم ، ثم الطمع فى السيطرة عليهم بمجرد زوال سلطانهم

ويذهب ذلك الذى لا يؤمن إلا بالقوة إلى أن الضعيف يريد السلام والوفاق والحرية والمساواة ، لا يبتغى من الدنيا شيئاً إلا الاحتفاظ بالبقاء . ولكن القوى يؤثر أن يخوض غمار المشكلات ، ويواجه العواصف والأهوال غير وجل ولا هياب ، ويشرئب بآماله إلى تسنم الذروة ، وبلوغ العظيم من الأمور . الضعيف لا يرضى أن يخاطر بشىء ، فأما القوى فيغامر بكل شىء ، إذ أن حياته كلها عواصف وأخطار ، بل يبذل له نيتشه النصح أن « يعيش فى خطر » فذلك هو المبدأ الذى يكفل له الاحتفاظ بكل مظاهر القوة

ويبشر نيتشه بظهور الإنسان الأعلى . ولكن كيف السبيل إلى ظهوره حتى ينهض بالانسانية من كبوتها ، ويقيل العالم من عثاره . السبيل أن يؤمن الناس بالأرستقراطية والتميز ، ويكفروا بالديمقراطية والمساواة ! فبين الكيف والكم خصومة عنيفة . فأما الأول فينادى بالتفرقة وينكر المساواة ، ويؤمن بالفرد ولا يعنيه شىء من المجموع باعتباره مجموع وحدات متساوية ، فالكومة المكدسة من الرمال لا تساوى كلها أكثر مما تساويه حبة رمل واحدة . فأما الكم فكل شىء عنده سواء ، يريد أن يخرج الناس جميعاً فى صورة واحدة ، ويطبق عليهم مقياساً واحداً . فصيحته « المساواة ! المساواة » وشعاره « نحن جميعاً متساوون ! وليس هناك أناس أعلى من أناس ! » وترى أصحاب الكم يتحدثون عن « الأغلبية » و « المجموع » و « أكبر عدد ممكن » حتى

انحطت الحياة فى جميع مظاهرها إذ أصبحت السيادة والسلطان للدهماء على أصحاب الرؤوس المفكرة والشخصيات الخصبة الممتازة

فأى عجب وتلك تعاليم نيتشة التى تشبع بها جماعة النازى، أن نسمع كبيرهم أدولف هتلر يقول عن أعضاء مجلس الريشستاج: «لست أدرى كيف يعهد بإدارة السياسة العليا للدولة لقطيع من الخراف رؤوسها خاوية»

بل كيف نعجب من إشعالهم لنيران الحرب الحاضرة والتهامهم الشعوب، إذا كان أستاذهم نيتشه ينادى بأن الإنسان الأعلى رجل نضال دائم من أجل السيطرة والغزو والظفر، لا يعنيه إلا أن يسير نحو الغاية التى رسمها لنفسه، وأن أبغض شىء إليه السلام، والحرب عنده أقدس شىء

وإذا أنت اطلعت على رأى نيتشه فى القيم الأخلاقية لم تدهش لتصرفات بنى قومه فى أى بلد اجتاحوه. فعنده أن الضعيف يسمى العجز «إحساناً وطيبة» ويسمى عدم القدرة على الانتقام والأخذ بالثأر: «صبراً» ويسمى حاجته إلى الآخرين وقصوره عن الاعتماد على نفسه: «رحمة» ويسمى عجزه عن إدراك المطامع السامية والغايات العالية: «تواضعاً». فأما الأقوياء فيسمون الأشياء بأسمائها ولا يبتغون إلا الظفر والانتصار وتحطيم كل من يقف فى سبيل تحقيق آمالهم السامية فى الحياة غير حافلين بدموع تسكب، أو دماء تسفك، لأن قلوبهم الصخرية، وعواطفهم المتحجرة، تملأها المطامع والغايات، ولا تجد الرحمة إليها سبيلاً

ولعلك تسأل عن السر فى مغاضبة النازية للمسيحية وإرهاقهم لدعاتها، وتنكيلهم بهم أحياناً؛ وعندنا أنه لاكتشاف هذا السر ينبغى أن نقول لك: «فتش عن نيتشه». فحملته الشعواء على دين عيسى، ورميه هذا الدين بالضعف والانحلال الذى أصاب أوربا فى زعمه إبان القرن التاسع عشر، كل أولئك حمل دعاة النازية على أن يعملوا كى تقفر جوانب نفوس الألمان من تلك العقيدة التى تدعو للسلام والرحمة وبذلك تجر للضعف والاستسلام وهم شعب الله المختار الذى خلق لسيادة الدنيا فى غير ضعف أو تخاذل!

ولا تحسبن الألمان ينكلون ببنى إسرائيل اعتقاداً منهم بأنهم سبب نكبتهم وباعث هزيمتهم فى الحرب العظمى. فاليهود فى نظر نيتشه هم أول من قاموا بثورة العبيد، وهم الذين حاربوا السادة حرباً لا هوادة فيها، وأذّنوا فى الناس بأخلاق العبيد لتكون سبيلهم إلى التسلط على السادة. وكذلك كانوا يوم قاموا فى وجه روما. وهكذا فعلوا حين أشاعوا فى الناس أخلاق الضعف والجبن والعجز والخور تحت أستار الحرية والمساواة!

* * *

والآن أرجو أن أقول إن الذى أوحى إلىّ بهذا البحث هو الكتاب القيم الممتع الذى وضعه عن «نيتشه» صديقى العالم الشاب الأستاذ عبد الرحمن بدوى. وإن أسلوبه الحار الملتهب، وعباراته التى تنبض بالحياة فى كل موطن، وإلمامه الشائق بحياة نيتشه ومبادئه وتعاليمه، وتبسيطه لمبادئ الفلسفة الجافة حتى تسيغها العقول والنفوس، وطريقته فى عرض الآراء وبسطها، كل أولئك قد أغرانى بأن ألتهمه التهاماً فأحببت أن أغرى الشبان بمشاركتى فى هذا المتاع العقلى.

عبد الحميد نافع

على هامش الأبحاث النفسية والفلسفية

الفصل بين القيم الذاتية
ظاهرة من ظواهر الرقي

للدكتور محمد البهى

كما أن من ظواهر المدنية والحضارة في سياسة الأمة الفصل بين السلطات المختلفة، كذلك من ظواهرها في وزن الأعمال وتقدير الإنتاج الفردى «الفصل بين القيم الذاتية»، لأن الثقافة تنوعت تبعاً لتنوع الحياة، وأصبح لكل نوع من أنواعها قيمته الخاصة لأنه يؤدى غرضاً في الحياة بعينه لا يعوض من طريق آخر.

والنظرة إلى إنسان اليوم غيرها إلى إنسان الأمس، أو يجب أن تكون غيرها، لأن له واجباً في الحياة، وعليه تبعة نحو المجتمع، وله قيمة في أية ناحية من نواحيها. فالشعبي والأرستقراطي سواء في القيام بالتكاليف العامة، وفي استحقاق التقدير على أداء الواجب المكلف به. إلا أن بعض القيم، قد يختلف لا من حيث ذاته، وإنما من حيث نظرة المجتمع إلى ناحية من الحياة التي تتصل به.

فقيمة الفرد قد تكون في علمه، فهو صاحب قيمة علمية؛ وقد تكون في فنه، فهو صاحب قيمة فنية؛ وقد تكون في سلوكه، فهو صاحب قيمة خلقية؛ وقد تكون في موهبته الاقتصادية، فهو صاحب قيمة اقتصادية؛ وقد تكون في إصلاحه، فهو صاحب قيمة إصلاحية ... وهلم جرا. وكلها متساوية في ذاتها إلا أن المجتمع وما يسود فيه من نظرة إلى الحياة هو الذى يخص بعضها بالتفضيل. فإذا كان المجتمع مثلاً متشبعاً بفكرة الإنسانية Homanism كان اتجاه تقديره إلى الصفة العلمية. وإذا كان متديناً أو يغلب عليه إلمام الدين والعادات والتقاليد في آرائه كانت نظرته الأولى في التقويم إلى الصفة الخلقية. وإذا كان في حاجة ماسة إلى الإصلاح الإدارى أو الاجتماعى لم يكد يعرف في حكمه على الإنتاج الفردى غير القيمة السياسية. وهكذا في الناحية الفنية من أدب وموسيقى وتمثيل وتصوير ... الخ

وعلى الفصل بين هذه القيم والاعتراف باستقلالها الذاتى درجت مدنية القرن العشرين، وقام التهذيب الحديث، وتأسس الإصلاح الاجتماعى

فغاية مدرسة اليوم إعداد الفرد للتمييز بين نواحى الحياة والاعتراف أدبياً بكل مجهود في أية ناحية من نواحيها. غايتها إعداده لأن يكون موضوعياً Obijektive في حكمه على الإنتاج الفردى غير متأثر بميوله ورغباته أو بالإيحاء والتقليد. غايتها تهيئته لأن يكون مستقلاً، وهذا هو السبب الذى من أجله لا يأنف الأوربى أو الأمريكى من مزاولة أى عمل. ومن أجله لا يبخس الغربى قيمة أى فرد في إنتاجه ولا ينظر إليه شزرا إذا كان دخله من عمله أقل من دخله هو مثلاً. هذا هو السبب الذى من أجله ملك الأوربيون كل ميادين النشاط الاقتصادى تقريباً في البلاد الأسيوية والأفريقية

والإصلاح الاجتماعى الحديث يقوم أيضاً على الاعتراف بالفرد – وهو غير الفردية – وهذا معناه الاعتراف بقيمته في أية ناحية. هناك طبقات، ويظهر أن وجودها ضرورة اجتماعية لداعى رابطة خاصة تربط فريقاً من الناس، ولكل طبقة قيمتها. وتفضيل طبقة على أخرى لغلبة نظرة من نظرات الحياة في وقت بعينه؛ ولكن ليس معنى هذا التفضيل احتقار الطبقة الأخرى وإهمالها، لأن الإهمال لم يعد الآن وسيلة من وسائل الحياة المتحضرة، كما أن الاحتقار لم يصبح في جملة الأحكام التقديرية

والطابع الاجتماعى للقرن العشرين الآن هو المساواة. وطابعه السياسى الديمقراطية. حتى داخل الحكومات الديكتاتورية، فهذه قامت على هدم تحكم إحدى الطبقات في الأخرى. قامت على الحد من الرأسماليين والتضييق على الأرستقراطيين

وحقاً إن الفصل بين هذه القيم والاعتراف بذاتيتها من ظواهر التمدن ورقى الإنسان، لأنه دليل على عدم إدخال الرغبات والميول، أى على عدم إدخال الناحية الشخصية في الحكم على عمل الغير وإنتاجه. والفرد لا يطلب حقاً في الحياة أكثر من الاعتراف بقيمته الذاتية في أية ناحية، لأنه على أساس هذا الاعتراف سيعيش معتداً بنفسه، وسيعمل جاداً في عمله، ومسروراً من عمله لأنه لا غنى – في نظره إذاً – لمجتمعه عنه. والمجتمع لا يطلب أكثر من اشتراك أفراده في بناء صرحه، ولا أكثر من أن يشعر كل فرد فيه بسعادته الشخصية ومتعته النفسية

والعصور الماضية إذا قيست بعصرنا الذى نعيش فيه كانت ميزتها في الخلط بين هذه القيم وعدم التفريق بينها عند إصدار الأحكام التقديرية. فقيمة الفرد تهمل، ووجوده يهمل كذلك

إذا كان إنتاجه فى غير الناحية التى ينظر إليها المجتمع ويطالبها لعوامل خاصة . فالعالم صاحب القيمة العلمية أو الفنية كثيراً ما اضطهد ، ولم يهمل وجوده فحسب ، لأن سلوكه فى بحثه كان على أساس النقد وعدم التسليم مبدئيًّا بما فرضه عليه وقته من عقيدة(Dogma). وقد كانت الناحية التى تقوم فى ذلك الوقت، وبجانبها تهمل كل ناحية أخرى فى التقويم ، هى الناحية الدينية أى السلوك طبقاً لأوامر رجال الدين . وبعض الطبقات كان يستعبد ويباع ويشرى ، وهى طبقة الرقيق ، لأن الناحية التى كانت تقدر حينئذ ناحية الشرف والجاه ، وليس لهذه الفئة من جاه من ثروتها أو ثقافتها

وهذه الظاهرة ، وهى ظاهرة الخلط وإهدار القيم الأخرى ما عدا قيمة الناحية المطلوبة ، تشبه فى تطور الأمم ظاهرة الطفولة فى أدوار نمو الإنسان . فالطفل لا يميز ذاته عما فى بيئته ؛ وبعبارة أخرى لا يعرف قيماً للأشياء إلا بقدر ما تشبع بعض رغباته أو تلبى بعض ميوله . فالحسن عنده ما انتفع به ، والقبيح هو ما لم يستطع السيطرة عليه ؛ فأمه « حُوَّة » إذا لبت رغبة له ، و« كُخَّة » إذا منعت عنه بعض ما يطلب

وبالتالى ظاهرة الفصل بين القيم والاعتراف باستقلالها عند أمة من الأمم تحاكى دور النضوج وبلوغ الرشد العقلى لدى الإنسان . فقدرة تصرف الرشيد معناها التمييز بين النافع فى ذاته والضار فى ذاته . معناها الاعتراف بالقيم الذاتية واستقلالها

لنا الآن أن نسائل أنفسنا : فى أى طور من أطوار النمو تعيش الأمة المصرية ؟ هل بلغت طور الرشد أم لم تجاوز بعد دور الطفولة ؟

لنرجع إلى وصف ما يسود فيها من ظاهرة تتعلق بإصدار الأحكام التقديرية ، وعلى أساس هذا الوصف المميز Charactaristic يمكن أن نعرف فى أى طور تعيش

طبيعى أنه يسود مجتمعنا ككل مجتمع إنسانى نظرة معينة فى الحياة . والنظرة الغالبة فى مجتمعنا النظرة الدينية أو نظرة التقاليد . وسواء أكانت سيطرة هذه النظرة على مجتمعنا الآن دليلاً على تغلب الناحية « اللاشعورية » وهى ناحية النزعات ، أم دليلاً على « إدراكه » لأهمية الدين فى تكوين المجتمع فإن ذلك لا يعنينا فيما نحن بصدده .

هل مجتمعنا يعترف بقيمة الفرد العلمية أو الفنية ، السياسية أو الإصلاحية أو الاقتصادية إن خرج فى سلوكه الفردى عما رسمته التقاليد ؟ ألا يحكم عليه بالفسوق والمروق — على الأقل — عن التقاليد والأخلاق القومية إذا ما أنكر فى بحثه بعض التقاليد أو بعض مبادئ هذه الأخلاق ؛ وبعبارة أخرى إذا لم يسر وفق ما تتطلبه نظرتنا فى مجتمعنا إلى الحياة ؟

أغلب الظن أن هذا هو الذى يقع بالفعل . فالعالم جاهل لأنه « متفرنج » أى مقلد غير ما هو شىء مألوف بيننا ، وزنديق لأنه يرى « الاجتهاد » من ضروريات العصر ، وهو غير مألوف أيضاً فى أبحاثنا . والمفكر لا خلق له ، أى ليست له قيمة بحسب نظرة المجتمع لأنه يميل إلى النقد وعدم الإذعان لكل ما هو مألوف فى نقلنا الثقافى

وإذا تجاوزنا دائرة العلم والبحث إلى العلاقات الاجتماعية ، وجدنا الصديق ينكر على صديقه بالأمس كل قيمة لأنه لم يف بوعد ربما ألجئ لأسباب خاصة إلى عدم الوفاء به . ووجدنا الزميل يأبى إلا تجريد زميله من كل اعتبار لأنه ينافسه فى زمالته ، وربما كان شريفاً فى منافسته . ووجدنا الرئيس يفحص قيمة مرؤوسه لأنه أخذ — أى المرؤوس — عليه خطأ فى تصرفه أو خالف المألوف من تملقه ...

كذلك نجد بعض الأعمال مفضلاً على بعض ، وبعض المهن يرفع حتى الذروة، والبعض الآخر يحط من شأنه حتى الحضيض . نجد عامة الشعب لا يعترف بوجودها عملياً، بينما نجد خاصته تمثل دور حكام الإقطاعيات

فنواحى النشاط المختلفة فى الحياة ، وأنواع الثقافات المتعددة، لم تأخذ بعد فى مجتمعنا قيمتها الذاتية . وتقديرها فى الغالب مبنى على التأثر بما يسود المجتمع من نظرة إلى الحياة ورأى بعينه فيها ، مبنى على التأثر بالعنصر الشخصى والرغبات والميول

ولهذا أظن أن مجتمعنا لم يزل فى دور الطفولة، لأنه لا يفصل فى تقدير الأعمال وتقويم الإنتاج الفردى بين القيم الذاتية بعضها تجاه بعض ، كما لا يفرق بينها وبين ذاته وشخصه .

محمد البهى

في النحو

قـــــد لا يكون

لأستاذ جليــــل

قال الأستاذ أحمد بك العوامري في (بحوث وتحقيقات لغوية متنوعة) في مجلة « مجمع فؤاد الأول للغة العربية » :

« نسمع كثيراً ، ونرى في الصحف نحو : قد يجيء محمد اليوم ، و (قد لا يجيء) ؛ ونحو : (قد لا نكون منصفين إذا قلنا كذا ... وهو ما لم يرد في كلام العرب . فقد قال ابن هشام في المغني : وأما (قد) الحرفية ، فمختصة بالفعل المتصرف الخبري المثبت المجرد من جازم وناصب وحرف تنفيس . وهي معه كالجزء ، فلا تنفصل منه بشيء ، اللهم إلا بالقسم ا . هـ ونحو هذا في القاموس . وقال في شرحه عند قوله المثبت : اشترطه الجماهير ا . هـ فلاصلاح العبارة يعتاض من (قد لا يجيء) مثلا قولك : (ربما لا يجيء) » .

أقول : وقال ابن يعيش في شرح المفصل : « اعلم أن قد من الحروف المختصة بالأفعال ، ولا يحسن إيلاء الاسم إياه ، وهو في ذلك كالسين وسوف . وهي (أي قد) بمنزلة الألف واللام التي للتعريف ، فكما أن الألف واللام اللتين للتعريف لا يفصل بينهما وبين المعرّف كان هذا مثله إلا أن قد اتسعت العرب فيها لأنها لتوقع فعل ، وهي منفصلة مما بعدها (فيجوز الفصل بينها وبين الفعل بالقسم) ، لأن القسم لا يفيد معنى زائداً ، وإنما هو لتأكيد معنى الجملة ، فكان كأحد حروفها » . وقال الرضيّ في شرح (الكافية) : « ولا يفصل قد من الفعل إلا بالقسم » .

قد عناني من أمر هذا البرزخ ، هذا الحائل : (لا) ما عنى الأستاذ الفاضل العوامري فاستقريت وفتشت ، فوجدت ما أنا مُمليه اليوم في « الرسالة » الغراء . ولو أدمنت[1] على التنقيب لضممت إلى هذا (الإملاء) شيئاً كثيراً :

(١) الشيخ اليازجي يقول : يقال أدمن العمل ولا يقال أدمن عليه ، الضياء المجلد (٧) الصفحة (٣٠٤) وفي الأساس : وأدمن الأمر وأدمن عليه : واظب

١ — كتاب (الأم) للامام الشافعي[1] الجزء (٣) الصفحة (٦٥) : « ... كما أكره للرجل أن يشتري السيف على أن يقتل به ، ولا يحرم على بائعه أن يبيعه ممن يراه أنه يقتل به ظلماً ، لأنه (قد لا يقتل) به ، ولا أفسد عليه هذا البيع »

٢ — لسان العرب . الجزء (٢) الصفحة (٣١١) : قال الخليل بن أحمد : الأمور على ثلاثة أنحاء ، يعني على ثلاثة أوجه ، شيء يكون ألبتةَ[2] ، وشيء لا يكون البتة ، وشيء قد يكون و (قد لا يكون) ...

٣ — الخصائص لابن جني الجزء (١) الصفحة (١٩) ... كما أن القول (قد لا يتم) معناه إلا بغيره

٤ — الأنموذج في النحو للزمخشري الصفحة (١٠٢) : ولا لنفي المستقبل ، والماضي بشرط التكرير و (قد لا يتكرر) نحو لا فعل

٥ — إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن للعكبري الجزء (١) الصفحة (١٣٥) : (أن قد صدقتَنا) أن مخففة من الثقيلة ، واسمها محذوف ، وقيل أن مصدرية و (وقد لا تمنع) من ذلك

٦ — الفروق لأبي هلال العسكري الصفحة (١٨٢) : الفرق بين الطاعة وموافقة الإرادة أن موافقة الإرادة قد تكون طاعة ، و [قد لا تكون] طاعة

٧ — شرح شذور الذهب لابن هشام الصفحة (١٣٨) : تنعت أي باسم الإشارة كقولك يا أيهذا ، والغالب حينئذ أن تنعت الإشارة كقولك :

ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى
وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي[3] ؟

و [قد لا تنعت] كقوله : (أيهذان كلا راديكما) ومثل ذلك

(١) في طبقات الشافعية : عبد الملك بن هشام : الشافعي ممن تؤخذ عنه اللغة . وفي الكشاف : وكفى بكتابنا المترجم بكتاب (شافي العي من كلام الشافعي) شاهدا بأنه كان أعلى كعبا وأطول باعا في علم كلام العرب من أن يخفى عليه مثل هذا

(٢) قال فريق من اللغويين : ألبتة بقطع الهمزة ، وقال فريق منهم : البتة بوصلها . فاقطع (يا أخا العرب) أوصل ... ونصبه على المصدر ، ومذهب سيبويه وأصحابه أن البتة لا تكون إلا معرفة ، وأجاز الفراء التنكير ، فعرف (يافتى) في كلامك أو نكر ...

(٣) أحضر بالرفع وهو القول البصري ، وبالنصب وفي رواية : ألا أيها اللاحي أن أحضر الوغى

فى الصفحة (٢٠٥) والصفحة (٣٩٥)

٨ — شرح الكافية للرضى الجزء (٢) الصفحة (٣٧٣): وأما المنقطعة (يعنى أم) ف [قد لا يتقدمها] الاستفهام ، وقد يتقدمها الاستفهام بالهمزة أو بهل ...

٩ — المقابسات لأبى حيان التوحيدى الصفحة (١٨١): سئل أبو سليمان هل يجوز أن يقال: الإنسان ذو نفس كما يقال هو ذو ثوب وذو مال ؟ قال: أما على التحقيق فلا ، وذلك أن الإنسان قد يكون ذا ثوب وذا مال و [قد لا يكون] ويستحيل أن يكون الإنسان إنساناً إلا وهو ذو نفس إلا على السعة والمجاز[1]...

١٠ — مفاتيح الغيب للرازى الجزء (٤) الصفحة (١٣٠): « ثم ههنا بحث آخر ، وهو أن المداوة والصداقة يمتنع أن تحصل باختيار الإنسان ، فإن الرجل قد يبلغ فى عداوة غيره إلى حيث لا يقدر البتة على إزالة تلك الحالة عن قلبه ، بل [قد لا يقدر] على إخفاء تلك المداوة . ولو أتى بكل تكلف وحيلة لعجز عنه . ولو كان حصول المداوة والصداقة فى القلب باختيار الإنسان لوجب أن يكون الإنسان متمكناً من قلب المداوة بالصداقة وبالضد . وكيف لا نقول ذلك والشعراء عرفوا أن ذلك خارج عن الوسع ؟ قال المتنبى:

يراد من القلب نسيانكم وتأبى الطباع على الناقل

والعاشق الذى يشتد عشقه قد يحتال بجميع الحيل فى إزالة عشقه ولا يقدر عليه . ولو كان حصول ذلك الحب والبغض باختياره لما عجز عن إزالته » ومثل ذلك فى الجزء الثالث الصفحة (١٩) والجزء الثانى الصفحة (٣٥٢)

١١ — الإيضاح للخطيب القزوينى الجزء الأول الصفحة (١٠٦): « ... لأن الجملة [قد لا تكون] طلبية كقولنا: نعم الرجل زيد »

١٢ — الموافقات لأبى إسحاق الشاطبى الجزء (٢) الصفحة (٢٠٠): « وغائبات الأمور [قد لا تكون] معلومة » ومثل ذلك فى الجزء (٤) الصفحة (٨)

١٣ — البصائر النَّصيرية لزين الدين الساوى الصفحة (٤): وقد يتردد فى أمور بعد إدراك المحسات وانتزاع القضايا منها ،

(١) قيل له فهل تقول: إن النفس ذات إنسان ، قال: لا ، لأنها غنية عن الاضافة ، ألا ترى أنه لا يقال: إن الثوب ذو إنسان وإن اليد ذات إنسان كما يقال: الانسان ذو ثوب وذو يد لأنه لا حاجة بالثوب إلى الانسان وإنما الحاجة بالانسان إلى الثوب واليد ...

و [قد لا يجد[1]] إلى الحكم الجزم فى بعضها سبيلاً

١٤ — الفرزدق — وبين الحليفتين عصبة حروف ، عصبة أم ... لا (لا) فقط، والفعل ماض فالخطب أطم — :

فقالت: سوى ابنى لا أطالب غيره
و [قد يك عاذت] كلثم وغلابها

أرى ابنَى نفيل من يكون أباله
وعما ف [قد يوم الرهان تمهلا[2]]

على من جرى والرافعين أكفهم
إلى كل فرع كان بالمجد أطولا

* * *

تلكم أقوال نحويين ولغويين وأدباء وعلماء متقدمين ومتأخرين، فليس ذاك القول بجرَدى عصرى كما حسب الأستاذ العوامرى حتى نحايده . وإن لم تقله العربية الأولى فقد نطق به الأُلى تلوتَ كلامهم ، وفيهم من فيهم . والنحاة يقولون كثيراً: (هذا جائز وإن لم يرد) وإذا أنتجت الحاجة فى الحضارة العربية هذا المسمى بالمولد فجاء من (الكُنْه) (اكتنهه[3]) وما أشبهه ، وتقبله الأدب والعلم ، ألا يسوغ أن يُتبحبح فى (قواعد) بعض تبحبح يُمد اللغة العربية، فتجىء قاعدة مولدة كما جاءت الكلمة المحدثة . وقد قرأنا فى (الكليات): « كل مبتدأ عقب بإن الوصلية فإنه يؤتى فى خبره بإلا الاستدراكية أو بلكن مثل (هذا الكتاب وإن صغر حجمه لكن كثرت فوائده) وذلك لما فى المبتدأ باعتبار تقييده بأن الوصلية من المعنى الذى يصلح الخبر استدراكا له ، واشتمالاً على مقتضى خلافه »

والمثل الذى أورده أبو البقاء إنما هو محدث والقاعدة مولدة

وإذا قال أبو حيان فى شرح التسهيل: « العجب ممن يجيز تركيباً ما فى لغة من اللغات من غير أن يسمع من ذلك التركيب نظائر . وهل التراكيب العربية إلا كالمفردات اللغوية ، فكما لا يجوز إحداث لفظ مفرد كذلك لا يجوز فى التراكيب .

(١) ممن ورد فى كلامهم مثل ذلك من أهل عصرنا ـ اليازجى والرافعى، والزيات والمازنى وكرد على والمردمى والريحانى والبشرى وطه .

(٢) من قول الشيخ حمزة فتح الله فى تقريظ كتاب (كمال العناية): قد ولاشك لحظتك فيه عين العناية

(٣) إذا قال الجوهرى فى صحاحه: كنه الشىء نهايته ، ولا يشتق منه فعل ، وقولهم: لا يكتنهه الوصف بمعنى لا يبلغ كنهه أى قدره وغايته كلام مولد — فالحريرى يقول فى السادسة والأربعين: فجلست إليه لأبلو جنى نطقه ، وأكتنه كنه حمقه . وأساس البلاغة يقول: اكتنه الأمر بلغ كنهه ، وعندى من السرور بمكانك ما لا يكتنهه الوصف

من الأدب الرمزى

هكذا تكلم بردى (*) !

للأستاذ على الطنطاوى

تفتحت أبواب السماء بغيث منهمر استمرّ ليلة من (تلك) الليالى طولها عشرة آلاف سنة ، فأغرق البحر وابتلع البرّ ، ومدّ أصابعه من خلال التراب وأدخلها من شقوق الأرض حتى بلغ (بردى) وهو (جنين) فى بطن أمه الأرض ، تطيف به أحشاء ليّنة من جَلْمَد الصخر ، تحنو عليه وتغذيه ، فغمره بالماء حتى ضاق به مكانه ، وامتد البلل إلى عظامه فخرج ...

وكانت الشمس قد طلعت على الأرض بعد (تلك) الليلة تمنحها الدفء وتغمرها بالنور ، و (تحدّد) فيها مملكة البر والبحر بعد أن كانت بحراً كلها ؛ فوقف (الوليد) ينظر مشدوهاً فيرى سهلاً أفيح جميلاً تحيط به جبال يَمِيْن شباباً ويَمِسْن جمالاً ، ولكنه عار أجرد ، فآله عريه وتجرّده ، وود لو سعى فى أرجائه يزرع فيه الحياة ويضع فى تلك السفوح (بذور) المدن والقرى . ولكنه كان ضعيفاً (فلم يستطع أن يمشى) ، وتصرم النهار وهو جاثم مكانه لا هو قادر على الرجوع إلى بطن أمه ، ولا هو قادر على السير ، وأوحشه سكون الليل وظلامه ، ولم يعطف عليه الجبل ولا سامره السهل ، فلبث وحيداً حتى جاءت فتاة من بنات (الدَّنْب) كانت قد سمعت به فأحبت أن تراه ، فلما أبصرته عشقته وحنت عليه ، وأضجعته على ركبتيها (تهمس) فى أذنيه أحاديث المدن البعيدة الحلوة والأودية المسحورة . . . حتى نام !

***

وصرت أيام نما فيها الوليد ، فغدا (صبيا) يمشى فى السهل ، ثم شب فصار (فتى) قويًّا ، (يعدو) نحو الوادى عدواً ...

راع ظهوره أهل تلك الديار فأعرضوا عنه باديَ الرأى ، ثم مالوا إليه فأحبوه ، واتخذوا مولده عيداً ، فنشر له السهل أعلامه الخضر ، وجمع له باقات الزهر ، وفرش له الجبل سفوحه ، وزيّنها بالورد ، وملكوه عليهم ...

وكان (بردى) الشاب ، طموحاً عالى الهمة ، فلم يقنع بملك ذلك السهل ، سهل الزبدانى ، ولم يكفه أن خضعت له جبال مضايا وبلودان ، وأبى إلا أن يخرج فاتحاً لا يقف حتى يملك الوادى كله ، فحشد عسكره ، ودخل الوادى بطبوله ورايائه يثب على الصخر وثباً ، ينشد أنشودته (الهادرة) ، ولم يكن فى الوادى إلا أميرات صغيرات ، ملكهن صخرة يخرجن من تحتها ، وساقية يجرين فيها ، فلم يلبثن أن بايعنه وخضعن له ، واندمجن فى جيشه ، وسمعت الأشجار بمسيره فقامت على طريقه صفين تحييه و (تصفق) له

حتى إذا اقترب من (الفيجة) جاءه رائده فقال له : قف ، فإن ههنا ملكة جبارة عرشها صخرة هائلة ، وجيوشها تملأ الوادى وتمتد إلى أبواب المدينة الأبدية الأزلية التى كانت من قبل ، وستبقى بعد الدائن كلها : دمشق !

(فقهقه) بردى ضاحكا من حماقة رائده . أى مدينة وجدت من قبله ؟ وأى شىء يعرف القدم والبقاء إلا الله القديم بلا ابتداء ، الباقى بلا انتهاء ؟ ثم زمجروا أقسم لئن وجد تلك المدينة قائمة من قبله ليدكنها دكا . وإن وجدها تنتظره ليجعلنها بإذن الله سيدة مدن الأرض وأمها ووارثتها . أما تلك الملكة فليحطمنّ عرشها ، ويبددن جندها ...

***

لأن جميع ذلك أمور وضعية ، والأمور الوضعية تحتاج إلى سماع من أهل ذلك اللسان . والفرق بين علم النحو وبين علم اللغة أن علم النحو موضوعه أمور كلية ، وموضوع علم اللغة أشياء جزئية ، وقد اشتركا معاً فى الوضع [1] » — قيل لشارح التسهيل : إن القوم فى الحضارة قد أحدثوا — محكمين مدققين — ألفاظاً ما عرفتها العربية السالفة . وإذا كان ذلك ولم ينكر فهل يُصدّ (احتياج) أحدث لفظاً رأى إحداثه ، أن يبدع — محتاطا — تركيبا ؟

وهنا هذا الحديث : إن اللغويين لم تحوّش كتبهم ألفاظ اللغة كلها ، وقد فر شى كثير . فهل يستطيع الناحى أن يقول ممتزاً : (علمُنا علمُ إحاطة) وقد استقرَت قواعدنا كل تركيب فى كلام العرب ، وما فرّط (الكتاب [2]) من شىء

هل يستطيعنّ ... ! ؟

« يتبع »

(*) أنظر مقالى من بردى فى الرسالة (عدد ٥٢)

(١) المزهر (٢) يعنى الكتاب لسيبويه

وتقابل البطلان بردى (الأسمر) القوى (سلطان الزبدانى) الغازى الفاتح، والفيجة (البيضاء) الفتانة (ملكة الوادى) واصطف الجيشان هذا من هنا، وهذا من هناك لا يختلطان[١]. ثم أقبلا فاصطرعا. فغلبت رجولة بردى وخضعت له الفيجة وسارت تحت ركابه ذليلة صاغرة، وهى أعز منه جنداً، وأسمى نسباً، وأكرم عنصراً

ومشى يجول فى الوادى ويصول، ويملأ أرجاءه بنشيده الحماسى المرعد

لم يجاوز إلا قليلاً حتى قابل أميرة صغيرة تخطر على السفح الجميل، وفى (عينها الخضراء) صفاء وفيها وداعة ولها سحر، كأن الناظر إليها يشرب منها خمراً، تلقى أغنيتها بصوت ناعم حالم. كأنه همس القلب فى أذن الطيف الحبيب. فأصغى إليها الجبل الأصم، ومال من الحنو عليها، وعانقتها الشمس. فلما اضطرت إلى فراقها احمر جفناها[٢] من كثرة البكاء. فذابت من حرارة الوجد قلوب (الثلج) وسالت مدامعها على خدود الجبال فاخضرت منها السفوح، فمن ذلك سميت (الخضراء). ثم لما عادت الشمس بسم الوادى، فمن ذلك سمى وادى (بسيمة)[٣] وكان لهذه الفتاة أم وصتها حين ألقتها فى لجة الحياة أن تحترس من النهر، وتحذر أن (يخطفها) ثم (يبتلعها) فإنه شاب غدار طياش...

* * *

لما أحس بها بردى صرخ مختالاً: من هذا الذى جرؤ على أن يمشى معى فى الوادى، وينتزع منى مجدى، وتبسم له الشمس من دونى، وتحنو عليه وتسمع نشيده الصخور الصم ولا تميل علىّ ولا تصغى لنشيدى؟...

فلما أبصرها شغفته حباً، ودلهته غراماً، فعمد إليها ليخطفها، فقامت دونها الصخور ووقفت تحميها (الدلبة)[٤] العظيمة التى تعيش هناك، وتلوح بأذرعها مهددة، فعجز عنها. وأنى له الوصول إليها وهى نائمة فى حضن الجبل ومملكته لا تتجاوز الوادى... فحطم الحب كبرياءه، وما أجلّ ما يفعل الحب! فتطامن ومشى ذليلاً. فلما رأته فتنها بصمته، وحرك قلبها بأحزانه فمالت إليه، وشغفت (ببريق) عينيه وقوته وشبابه، فنسيت وصاة أمها، وتمنت لو نامت على ذراعيه. فلما جربت ذلك حملها وطار بها إلى دمشق

ومر على بردى نصف مليون من السنين، وهو السيد المطلق، يجرى حراً أبياً، لا يقف فى وجهه شىء، حتى يجوز بدمشق، ثم يذهب فيستريح فى (العُتيبَة)... ثم ظهر الإنسان على الأرض، وظهر بردى على الطبيعة، فويل له من الإنسان!

* * *

وفى ذات صباح جاءه طائر يلهث عطشاً. فلما سقاه أحب الطائر أن يجزيه خيراً، فخبره أنه رأى هناك فى الرمال المحرقة التى تملأ (الجنوب) أمة من الناس، يمشون فى طلب الماء. وقال له: إنى أخاف عليك منهم، فهم من أهل الجزيرة التى لا تغلب. من العرب. إنهم بنو الشمس، بنو الصحارى، بنو الموت، أفتظن أن الموت يمس أبناءه؟

فضحك بردى وصرفه بسلام!

* * *

ووصل أول رجل من القافلة، وكان من أهل (الجزيرة). وهل خرج إلى الدنيا فى فجر الحياة غيرهم؟ فلما رآه صاح بإخوته أن تعالوا انظروا كم يحمل من ماء الحياة ونحن هالكون عطشاً. فاقبضوا عليه كيلا يفلت من أيدينا. ضعوا له الحواجز فى طريقه كيلا يهرب...

وأراد أن يضربهم ضربة واحدة فيهلكهم فلم يقدر عليهم. وقدروا هم عليه فأحس أن نجمه قد شرع فى الأفول... عطلوه عن سيره، وغلبوه على أمره، ثم صنعوا معه صنع كل عدو غالب. فرقوا جماعته، وجعلوا أمته الواحدة أمماً سبعاً، فبعد أن كان كله بردى صار بردى ويزيد وتورا وبانياس والقنوات والديرانى والقناة، ثوروا عليه أبناءه حتى استقلوا عنه واعتصموا منه بأكناف الجبلين... ثم سلبوه الفيجة واستاقوها (مقيدة بالحديد) إلى دمشق...

ولقد غضب بردى مراراً وهاج، فكان يهجم على المنازل

---

(١) ذلك مشاهد إلى اليوم فى الفيجة

(٢) أعنى حمرة الشفق

(٣) من زار الشام ومصايفها ولم ير بسيمة والعين الخضراء فلا يقل إنى رأيت الشام لئلا يقول غير الحق

(٤) فى بسيمة عند العين واحدة من شجرة الدلب لا يدرى أحد متى ولدت. وقد أدركت فى الشام دلبة أعظم منها، كانت فى شارع فيصل، فى مدخل السروجية، أحسبها قد أدركت معاوية بن أبى سفيان وقد نخرها الكبر، فاتخذوا فى جوفها مخزناً. وأظن أن محيط جذعها كان أكثر من اثنى عشر متراً. وكان يستند إلى فرع منها جناح كبير من منزل كان هناك، وقد قطعها جمال باشا (عليه من الله ما يستحق) مثلما قطع أعناق البشر!

وساكنيها، فيشردهم شذر مذر، ولا يبقى منها حجراً على حجر، ويحسب أنه انتهى منهم ، فإذا هم يلدون غير من مات ، ويبنون غير ما انهدم ... فـكل وأيس ... وأحس أنه صار شيخاً !

***

ووقفت على بردى وهو يمشي في (المرجة) رحبة دمشق تحت قصر أمية مشية الشيخ العاجز المتهافت ، فقلت له : هيه ... مالك ؟ تعبت ؟ أو قد شخت ؟

قال: دعني يا غلام ، فإني أسير الأيام، فلما كانت مقبلة جادة كنت أقبل معها عدواً ، فلما تولت وهزلت ... توليت ...

ومالي لا أني ، وقد باد مجدي ، وساء جدي ؟ ألا يا ليتني ما عرفت الإنسان !

وسكت لحظة ، ولاحت على خده دمعة تجري مع الماء ، ثم قال : على أني رأيت والله ناساً كراماً ... أجلوني وعرفوا قدري، وكنت أمر بين أيديهم من الرحيق السلسل ... وكنت أمشي في الرياض على فتيت المسك ، وأنام على غناء ، وأصبح على شعر ، وأضحى على كرم ومجد ونبل ... فأين أنت يا قصر البريص (١)

وأين أولئك الذين كانوا لباب البشرية ، وكانوا مثلها العليا مجسمة ، أولئك المسلمون الذين شادوا مجداً جدع أنف الدهر ؟ أين ذلك الرجل(٢) الذي مر علي يوماً وكنت أمشي في الربوة على باب دمشق في الموضع الذي امتلأ هواؤه بجراثيم ذلك المرض الفظيع، فلا يمر به أحد إلا أصيب به، المرض الذي يسمونه الحب فلا يذهب إلى الربوة من كان يخاف الحب ، لأنه لا يرى هذا الجمال إلا تفتح له قلبه ، فذهب يفتش عمن يحب ... مر علي ذلك الرجل العظيم، فرأى الأغنياء لهم في الربوة قصور ومنازل، والفقراء ما لهم إلا حجارة الجبل وحصى الوادي ، فلم ينصرف حتى أقام لهم متنزهاً ما رأى الناس مثله ، يجري تحته (تورا) ، ويجري فوقه (يزيد) ، وهو بينهما جنة ، فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين . فإن اشتهوا تمراً مدوا إليه أيديهم ، وإن اشتهوا لحماً ناولتهم السمك حياً ، فنقلوه من الماء إلى المقلاة(٣) ، وإن أرادوا لذة العين وجدوا ما لا مزيد عليه في دار الدنيا ، وعند الله في الآخرة مزيد ...

فأين أولئك الناس ، وأين اليوم أمثالهم ؟

وسكت بردى هنيهة ، ثم رجع يقول ...

لقد شاقتني أمس تلك القصور وهاتيك المنازل ، وقد سدوا إليها الموارد ، وأقفلوا الأبواب ، (فانسللت) من شقوق الأرض حتى بلغت قاعة في الدار المظيمة ، دار القوتلي ، التي ترى عرصاتها من (منارة العروس) إذا أنت صعدت إليها ، ونظرت إلى ما تحتك إلى الشمال ، وراء قبر الملك الظاهر ، ترى عرصاتها فتحسبها حياً كاملاً ، أو أطلال قرية كانت هناك ... دخلت القاعة فيا أسفى ، ماذا وجدت ...

لا الروض باق ولا أهلوه باقونا ... ذوى الزهر ، وجف الماء ، وصارت البرك حفراً قاحلة ، وقد كانت تضحك فيها أوانس الماء متراقصة تحت الحياة في هذه الدار . . . وتعرت الجدران ، وقد كانت نقوشها ومقرنصاتها آية في مصحف الفن ...

اللهم إني أستغفرك — ولم يبق من ذلك (الصيني) الذي يملأ (الـكتبيات) والرفوف إلا قطع غاصت في التراب فبدت منها أطرافها ، ولا من السجاد الثمين إلا خيوط الله أعلم كم بللتها الأمطار ، وكم جففتها الشمس ، حتى غدت وليس لها لون يعرف . والرخام الأبيض الذي كان كالمرايا ... والأشجار والأوراد ...

لقد انصرف الدمشقيون عن هذه الدور التي كانت مصدر الفن العمراني الأندلسي ، منها أخذ وعنها نقل ، وكرهوا هذه الجنان ، واتبعوا الأفرنج إلى (جحر الضب ... فآثروا عليها هذه الصناديق المغلقة التي يسمونها دوراً . فمن يفهمهم أنهم يخطئون ، وكيف السبيل إلى الاحتفاظ بالبقية الباقية من دور دمشق القديمة ، قبل أن تهدمها حماقة المالـكين ، وفتنتهم بتقليد الغربيين ؟

ومتى يعلمون أن أوربة ليست أرقى منا في عادات ولا دين ، ولـكنها أرقى في الصناعات . فياويح القردة المقلدين لقد ذهبوا يدرسون العربيـة ، حتى العربية لغتنا ، ذهبوا يدرسونها في باريز !

(قال) : ودخلت تلك البركة التي طالما شهدت فيها أعراس

---

(١) عنـدي شواهد على أن موضع قصر البريص في موقع (سوق النحاسين) اليوم — أمام المناخ من دمشق ، واسألوا مع ذلك أعلم أهل الشام بخطط الشام الشيخ دهمان العالم المختبئ الذي لا يجد من أحد تشجيعا .

(٢) نور الدين .

(٣) وهذا مثل ما يعرف في بغداد باسم (السمك المسقوف) وما عرفه من لم يره ، ولا درى مجالسه من لم يحضرها ، لأنها فوق الوصف !

الحياة أتذكر ، فرآني خادم هرم ، فصاح بابنه أن تعال أخرج هذا الماء الآسن من هنا ...

ماء آسن ؟ أنا آسن ؟ يا ويحكم . أما كنت طاهراً نقياً أسير في الوادي كما خلقني الله ؟ أما أكرمني من كان قبلكم ، ورفعوني بالنوافير على الرؤوس ، وكانوا يتقون الله فيّ فلا يمسونني بأذى ؟ ويلكم أبنا الآسن يا ذوي النفوس الآسنة ؟ كنت أصافح من أجدادكم عند الوضوء وجوهاً مشرقة نورانية وأيدياً طاهرة معطرة فصرت لا أرى منكم إلا السوء . دنستموني وآذيتموني ، وألقيتم عليّ أوضاركم ، وتدّعون أنكم في عهد النور ، وأن عهد أولئك كان عهد ظلام ...

أعهد ظلام كان ، وقد سطع فيه من عندكم نور العلم حتى ملأ الدنيا ، وامتد فيه شعاع الفضيلة حتى أضاء غياهب القلوب فبدد ظلمة الشهوات ؟ ورفرفت فيه الراية — رايتكم على نصف المعمور من الأرض — ولو اجتزتم نهراً عرضه خمسون متراً ، ولو أخر الله موت عبد الرحمن ساعتين ، لرفرفت على النصف الآخر ، ولنجا العالم من وحشية الشقر الآريين الذين يدعون كذباً أنهم أفضل منكم . دعوى إبليس حين قال : (أنا خير منه) !

لقد هدمنا مجدنا بأيدينا ، وأعنا عدونا على أنفسنا ، فذللنا حين انقسمنا ، وأضعنا كل شيء حين ذللنا . أفلا يقظة بعد هذا النوم ؟ ألا نظرة بعد هذا العمى ؟ ألا زعيم مصلح حقاً يرجع الناس إلى الجادة التي ضلوا عنها ، إلى كتاب الله وسنة نبيه ، ويخلصهم من بليتين : من إلحاد المتفرنجين ، ومن شعوذة أصحاب الطرق الحشويين الجاهلين ؟

اللهم تباركت ربنا ، لك الملك ولك الأمر ، ولا شكاة إلا إليك ولا خير إلا منك . اللهم ما شخت ولا أصابني الونى ، ولكن أمرضتني الأقذار التي ألقوها عليّ ، وهذه البنى النتنة التي أنشأوها على جواني : كبيات الشيطان : تريانون وأولمبيا والليدو وبناية الروكسي (السينما وما فوقها ...) !

وسكت بردى ، وعاد يمشي مشية الشيخ العاجز حزيناً متألماً !

هكذا تكلم الشيخ بردى ... !

« دمشق » علي الطنطاوي

الأدب الفنلندي

للأستاذ صديق شيبوب

(بقية الحديث عن ملحمة كاليفالا)

ظهرت الطبعة الأولى للحمة « كاليفالا » يوم ٢٨ فبراير سنة ١٨٣٥ . ولعل النجاح الذي صادفه هذا الأثر الفني شجع « لونرو » على متابعة رحلاته ، وكان قد عنى من قبل بجمع القصائد التي ينشدها سكان مقاطعة « كاريلي » ، فتوجه إلى المقاطعات الشرقية ونقل القصائد الشائعة فيها ، ثم ضمها إلى ما سبق له جمعه بحيث اكتملت هذه الملحمة وطبعت للمرة الثانية في شكلها الجديد سنة ١٨٤٨ في ثمانمائة واثنين وعشرين ألف بيت من الشعر وهي الطبعة التي يعتمد عليها اليوم . وقد نقلها إلى الفرنسية في شعر مطلق مقطع وفقاً لتقاطيع الشعر الفنلندي المسيو جان لوي بيريه Jean Louis Perret الأستاذ المعيد للأدب الفرنسي بجامعة هلسنكي .

كان لظهور هذه اللحمة فضل بعث الروح القومية في نفوس الفنلنديين . ويهمنا في هذا البحث من أثرها أنها حملتهم على العناية بلغتهم الأصلية .

قلنا : إن الأسوجيين بعد أن فتحوا فنلندا فرضوا لغتهم على سكانها ، فصارت اللغة الأسوجية لغة العلم والأدب ، بينما ظلت اللغة الفنلندية شبه لهجة يتحدث بها الشعب . فظلت متأخرة لا سبيل إلى التعبير فيها عن حالات النفس ورغباتها . وظلت اللغة الأسوجية مسيطرة على اللغة الفنلندية ، حتى بعد استيلاء روسيا على دوقية فنلندا الكبيرة . وكانت تعلم في مدارسها وجامعاتها .

ولما أخذ الفنلنديون يشعرون بقوميتهم بفضل ظهور ملحمة « كاليفالا » ابتدأ الشعب يناضل للتخلص من اللغة الأسوجية التي لا تزال الطبقة الأرستقراطية متمسكة بها إلى اليوم

فلا عجب إذا احتفى الفنلنديون بهذه الملحمة واحتفظوا بها كاحتفاظهم بمفاخرهم القومية وآثارهم الوطنية التي كشفت لهم عن كنوز ماضيهم الدفينة وأوحت إلى نفوسهم الثقة بمستقبلهم

وقوت عزيمتهم لنيل استقلالهم . وقد خصوها بغرفة فى المتحف الوطنى بهلسنكى جمعوا فيها مختلف طبعاتها وترجماتها

ومن أدلة حفاوتهم بها الحفلات العظيمة التى أقاموها سنة ١٩٣٥ بمناسبة مرور مائة عام على ظهورها فى عالم الطباعة

***

بقى أن نشير إلى الجدل الأدبى القائم بين الروس والفنلنديين بصدد هـذه الملحمة وأصلها ، وهو جدل له مظهره الخاص إذا نظرنا إليه على ضوء الحرب الناشبة اليوم بين الدولتين

يقرر علماء (الفولـكور) الفنلنديون والألمان أن أناشيد هذه الملحمة جمت من المقاطعات الواقعة حول مدينة هلسنكى ويتوسلون بها لتدعيم مطالبتهم بمقاطعات « كاريلى » و « إنجرى » Ingrie وغيرهما من المقاطعات الروسية

وينفى علماء (الفولـكلور) الروس هذه المزاعم ويؤكدون أن « لونرو » لم يجمع هذه الأناشيد من المقاطعات التى تتألف منها فنلندا اليوم بل من الجزء الشرقى لمقاطعة « كاريلى » وهى المعروفة باسم « جمهورية كاريلى الاشتراكية السوفيتية المستقلة »

وقد نشرت صحيفة « فيتشرنيا ياموسكوفا » Vetcherniaia Moskva الروسية بتاريخ ٢٦ يونيو الماضى مقالاً عرضت فيه لهذا الجدل جاء فيه أن القصائد التى جمت فى الطبعة الأولى التى ظهرت سنة ١٨٣٥ تلقاها « لونرو » من فلاح يدعى « برتونين » Pertunen كان يسكن فى ناحية «أولونه» Olonets من مقاطعة « كاريلى » . وقد ذكر المسيو « بيريه» الذى يعد اليوم أكبر حجة فى فرنسا فى الأدب الفنلندى ، أنه ذكر فى كتابه « مظاهر الأدب الفنلندى المعاصر » أن الشعب الفنلندى الأمى الذى يدين بالأرثذكسية والذى يقيم بمقاطعة « كاريلى » الروسية قد احتفظ بتقاليد القبائل القديمة ، وأن هذه التقاليد بادت فى فنلندا نفسها بتأثير التعاليم البروتستانتية . وأضافت الصحيفة الروسية إلى ما تقدم أنه بينما لا نجد واحداً فى الجزء الغربى القبلى من فنلندا يحفظونها ويروونها ، وذكرت اسم سيدتين تسكن إحداهما مدينة موسكو . ثم قالت : إن بدعة نسبة أناشيد « كاليفالا » إلى فنلندا لم تظهر إلا فى أواخر القرن الماضى ، وحملت الصحيفة الروسية على الذين قاموا بطبع هذه الملحمة باللغة الروسية سنة ١٨٣٣ لأنهم نسبوا هذه الملحمة لفنلندا ولم يمحصوا ما قرره علماء (الفولكلور) الفنلنديون

وهكذا يحاول الروس أن ينتزعوا من الفنلنديين ملحمتهم الوطنية التى تمد مصدر إلهام عظيم لشعرائهم وفنانيهم ، ومبعثاً للحماس وروح الوطنية فى نفوسهم

صديق شيبوب

M. Arab. 144

عن جريدة حشرة الملاريا

أنا أدعى أنوفيل ولست يونانيا أو مصريا بل أنا دولى ونحن نسكن فى جميع الأقطار ويخشى الناس بأسنا فى كل مكان

لقد مضى زمن كنا فيه أقوى من الملوك والقواد وكنا حال ظهورنا مرهوبين كالموت نفسه

آه كم كنت أتمنى لو كنت من جملة السرب الذى قهر بريروس فى إيطاليا وطرد الموغول الكبير بابار البنجابى.

فان حشرة واحدة منا تكفى لكى تمحى تماما كل المشاريع الجليلة والسبب كان يبقى خفيا لأن هذه الحشرة كانت تعمل فى الظلام

ولكننا لم نركن إلى الهدوء حتى خلال هذه القرون الأخيرة فلا يمكن إحصاء المشاريع التى أخفقت بسببنا والسكان الذين محوناهم فنحن نعكر صفاء كل شيء . فلا يزال الانسان يبنى ويهتم بأشغاله وبملذاته وبغتة أظهر أنا أنوفيل وأنا أطن فرحا بهدوء مفتشا عن محل صغير جميل حيث أركز بسرور وأحفر حفرة صغيرة جداً فى جلد المسكين فأمتص بعض نقط صغيرة من الدم وينتهى عملى فأعيد الكرة وأهدم فى ثانية واحدة عملا دام سنين طوالا يظن أنى بعوض اعتيادى ولا يعرف أنى أنا الأنوفيل ولكن عندما يرتجف من الحمى حينئذ فقط يذكرنى

ولكن خطراً كبيراً يهددنا . فيكفى حسب رأى لجنة الملاريا فى جمعية الأمم ٤٠٠ ملليجرام يوميا مدة موسم الحميات حتى يقى الانسان نفسه من العدوى التى أحملها أنا وقد وصفت هذه اللجنة لمعالجة إصابة الملاريا كمية جرام واحد أو جرام وثلاثين سنتجرام من الكينا يوميا للأخذ منها مدة خمسة أو سبعة ايام فمسى ليس له هذه المقدرة كي يقاوم علاجا بهذه القوة .

من وراء المنظار

القاهرة ليلة الجمعة ! . . .

أحب الطواف بأنحاء العاصمة ليلة الجمعة من كل أسبوع فأسير أينما اتجهت بي قدماي لا أدري متى أقف ولا من أي طريق أعود، ولقد أقصد أحياناً إلى حيث تقوم دور الملاهي، وأنا لسوء حظي أو لحسنه — حسبما يرى القارئ — أجدني أبداً غريباً في ذلك الحي ، بل إني في الواقع غريب في المدينة كلها على الرغم من أني قضيت فيها من عمري سنين !

وعين الغريب كثيراً ما ترى مالا تراه الأعين التي ألفت ما تقع عليه . ولعل هـذا هو الذي يحبب إلي ذلك الطواف الطويل . ولقد كانت آخر مرة طفت فيها بذلك الحي ليلة الجمعة الماضية ... على أني وددت ليلتئذ لو أن قدمي سارتا بي إلى مكان غير ذلك المكان ، فلقد كنت أحس شيئاً من الهم على الرغم من أن جيبي كان لا يزال عامراً بمرتبي الذي تناولته قبلها بيوم ، وخشيت أن يؤثر ذلك الهم في تصوير ما تقع عليه عيناي

ووقع ما خشيته فأنا أرى كل شيء بقلبي لا بعيني. فها هي ذي مناظر شاهدت مثلها كثيراً ولكنها تزيدني هماً على هم

هذه « شلة » من الرفاق أنستهم جيوبهم التي أحسب أنها كانت لا تزال عامرة مثل جيبي، وأنساهم شبابهم ما يجدر بأمثالهم من « الأفندية » فأخذوا يتصايحون ويهوشون وينادي الواحد منهم صاحبه بأقطع ما يتصور من عبارات السباب كأنما راحوا يتنافسون في فحش القول . . . ولمحني أحدهم وهو يعرفني ، وقد عرفته من قبل وقوراً هادئاً فاندس من الخجل واختفى في أصحابه

ودرت بعيني، ولكنهما وقعتا على قوم آخرين أراهم أجدر من سالفيهم بالوقار والتحشم، فإن ذلك مما تقضي به على الأقل طرابيشهم « الميري » وسراويلهم التي تزينها الأشرطة الحمر المهيبة ، ولكنهم كانوا أكثر من السابقين تهريجاً وتبذلاً. ولا عجب فهم فرحون مزهوون بهذه الملابس التي باتوا يخطرون فيها على أعين الناس .

ولكم كنت أضيق بهم حينما كانوا يزحمون الغادين والرائحين وعلى الأخص الغاديات والرائحات ...

والتفت على صوت هرج شديد فرأيت في مقهى قريب معركة حامية وعلمت من أمرها أن أحد « اللاعبين » هجم بسكين المائدة على صاحب له لأنه أخذ منه آخر قرش بقي معه ولم يشأ أن يقرضه من تلك القروش شيئاً يعود به إلى عياله

ورأيت حول المائدة الممدودة أولئك الغلمان الذين يلتقطون بقايا الدخائن ويترامون على ما يلقى إليهم من فتات تلك الموائد ينازع بعضهم عليها بعضاً كما تفعل الكلاب فيزيدون المنظر بذلك سوءاً وقبحاً

ومضيت أخرج من هذا الحي فلم يعد لي في تلك الليلة جلد على رؤيته ، فما كدت أنعطف في أول شارع حتى لقيت في المنعطف « لقاء » تكتنفه الريبة، فهو يضحك مرتبكاً وهي لا تكاد تضحك حتى يطفئ الخوف والقلق ضحكها ... ومررت بهما وأنا أسائل نفسي : أله زوجة ولها زوج ؟

وكأنما تأبى المكاره إلا أن تأتي في وقت معاً ! فهـذا مترنح متخلج يمسك أصحابه بذراعيه مخافة أن يقع ، وهو شاب بادي الوجاهة ، ولقد سقط طربوشه حينما قربت منه ، ولست أدري لم قصدني أنا فالتفت إلي ضاحكاً وقال : « من فضلك ناولني البلغة يا أفندي »

وألفيت عند محطة الترام أنماطاً من الشباب فرادى وجماعات، ورأيت منهم من مرت بهم جميع المركبات وهم مع ذلك وقوف في أماكنهم يمدون أعينهم إلى كل مركبة في مكان معين منها . وعلام يستعجل هؤلاء العودة إلى منازلهم ولا تزال بينهم وبين امتحاناتهم شهور ؟

وأراد نكد طالعي أن يكون آخر ما يقع منظاري عليه جماعة من الغلمان في إحدى الطرق ينبشون صندوق القمامة يبحثون فيه عما يقتاتون به ... فرفعت بصري إلى أعلى وقد ضـاق بالأرض وما عليها فوجدت القمر من فرجة بين بيتين عاليين، وأحسست أنه في تلك المدينة غريب مثلي . ولست أدري لماذا فسرت ابتسامته في تلك الساعة بأنها سخرية من حياة المدينة هذه ومفارقاتها ؟ ... وأشد ما أمضني، أني لم أر شيئاً مما كرهت من أحد غير بني قومنا الأعزاء ، على كثرة ما بين ظهرانينا من النزلاء !

« عين »

الأدب في سير أعلامه

بـــيرون

ذلك العبقري المتمرد الذي غنى أروع أناشيد الحرية، ولاقى الموت في سبيل الحرية

للأستاذ محمود الخفيف



نشأته وطفولته

ستمضي السنون ويبقى بيرون في الغرب كالمتنبي في الشرق يحمل النفوس على الإعجاب به، من أحبه ومن لم يحبه في ذلك سواء. وستظل عبقرية هذا الشاعر الشاب كالشعلة تنتقل من جيل إلى جيل فلا تزداد على الأجيال إلا تألقاً وإيماضاً. وما كان لشعر كذلك الذي جاشت به تلك النفس المتوثبة الثائرة، وغنت به تلك القيثارة الملهمة الساحرة، أن تذهب الأيام بروعته وسحره، مهما تغيرت فنون القول واختلفت ضروب البيان

وما عرفت انجلترة، بل وما عرفت أوربا كلها شاعراً كاللورد بيرون بلغ في مثل سنه مبلغه من نباهة الاسم وبعد الصيت في القارة جميعاً. وما عرف تاريخ الآداب رجلاً هز عصره هزاً متوالياً عنيفاً كما هز عصره ذلك الشاعر الذي تمرد على كل شيء حتى على نفسه. وما لقي رجل من مواطنيه مثل ما لقي بيرون من الإعجاب الشديد والسخط الشديد. ثم ما اختلف النقاد في رجل اختلافهم في ذلك الذي كانت شخصيته الفذة مجموعة عجيبة من المتناقضات، ذلك الذي بلغ قمة المجد الأدبي وهو في الرابعة والعشرين ثم غيب في لحده ولم يتجاوز السادسة والثلاثين

ولد جورج بيرون في لندن عام ١٧٨٨، أي قبل أن تنبعث الثورة الكبرى في فرنسا بعام واحد، كأنما أراد القدر أن تستقبل هذه النفس الثائرة الحياة في عصر كانت تعصف فيه أنواء تلك الثورة العاتية بأوربا كلها. وكانت الأسرة التي انحدر منها ذلك الشاعر من أعرق الأسر في انجلترة كلها، فلقد جاء رأسها مع وليم الفاتح عند الفتح النورمندي في القرن الحادي عشر؛ وكان بيرون يفخر أشد الفخر بانتمائه إلى تلك الأسرة حتى لقد قيل إنه كان يزهى بحسبه هذا أكثر مما كان يزهى بأنه مؤلف تشايلد هارولد ومنفرد

على أن الشاعر قد ورث من بعض أفراد أسرته هذه بعض ما لا يحمد من الصفات؛ فكان سيئ الحظ من هذه الوجهة بانتمائه إلى هؤلاء. وحسبنا أن نشير منهم إلى اللورد الخامس في هذه الأسرة، ذلك الذي كان ينعت باللورد التعس، فقد كان شاذاً إلى حد يقرب به من الجنون، فهو يبعثر أمواله وهو يحتجب عن الناس، وهو لا يهدأ ذات ليلة حتى يقتل قريباً له في مبارزة دعاه إليها على ضوء شمعة في غرفة مغلقة على أثر خلاف نشأ بينهما وهو يأتي من ضروب اللعب والعبث ما لا يفترق به عن الصبية!

وكان لهذا اللورد التعس أخ يعمل في البحرية وقد وصل بجده إلى مرتبة الأدميرال ولكنه كان يعرف بين زملائه ومرؤوسيه باسم «الجو العاصف» لأنه ما ركب البحر إلا هبت في إثره عاصفة، وأنجب هذا الأدميرال ولدين كان كبيرهما قسيم المحيا وجيه الطلعة حسن السمت، وقد انتظم في سلك الجندية وهو في سن اليفاعة وخاض غمار الحرب الأمريكية فيمن خاضوا، ثم عاد إلى انجلترة وهو في العشرين من عمره، فكانت وجاهته محط الأحداق فيه، إلا أنه عرف بحدة عواطفه وعدم مبالاته وجرأته أكثر مما عرف بجماله، حتى لقد حمل هو أيضاً بدوره لقباً، ذلك هو جاك المجنون

وفتن جاك إحدى الحسان وكانت زوج أحد اللوردات حتى هامت به. ولم تتردد حينما مات أبوها وخلف لها أربعة آلاف من الجنيهات كل عام أن تهرب معه إلى فرنسا، حيث حملت منه ثم وضعت بنتاً، ولكن هذه المرأة المسكينة ما لبثت أن قضت نحبها إثر مرض كما يقول بعض الناس أو من جراء سوء معاملة زوجها إياها كما يقول آخرون

على أن جاك ما لبث أن أوقع فى حبائله سيدة اسكتلندية إلا تكن جميلة كسابقتها فقد كانت ترث عن أبيها ثروة قدرها ثلاثة وعشرون ألفاً من الجنيهات ، وقد شغفها حباً ذلك الشاب الغريب الأطوار ثم بنى بها فأنجبت له بعد أربعة أعوام طفلاً هو الشاعر الذى نحدثك عنه

كانت هذه السيدة الاسكتلندية تدعى كاترين جوردون ، وكانت تزهى هى أيضاً أشد الزهو بالأسرة التى تنتمى إليها ، فقد كانت تجرى فى عروق أفرادها دماء من أسرة استيوارت الملكية ؛ ولكن هذه الأسرة لم تكن فى تاريخها أسعد حظاً من أسرة بيرون ، فقد قتل بعض أفرادها ، وأعدم البعض ، وانتحر آخرون فى عدة حوادث ، وكان آخر هؤلاء والد كاترين الذى انتحر غرقاً وخلف تلك الثروة لابنته . وطالما كان رجال هذه الأسرة مصدر رعب للاسكتلنديين ، إذ كانوا يلاقون على أيديهم كثيراً من البطش والانتقام ...

عاشت كاترين مع زوجها أول الأمر فى اسكتلندة وما لبثت أن هالها منه إسرافه وعبثه بثروتها ، وقد كان لا ينقطع عن المقامرة ، ولا يكاد يفيق من سكره . ثم رحلت معه إلى فرنسا حين ضاقت باحتقار الناس إياها وزوجها الـسـتهتر الماجن ؛ وراح زوجها يبعثر الأموال فى باريس بغير حساب ، وهو لا يسد ديناً إلا وقع فى دين . وانتقل الزوجان إلى لندن بعد ذلك ، ولكن جاك ترك زوجه هناك وعاد إلى باريس ، وصار لا يزورها إلا حين يطلب المال . على أنها ظلت على الرغم من ذلك مفتونة به ، وقد ازدادت به تعلقاً حينما وضعت ذلك الغلام الجميل الذى سمته جورج جوردون فى مستهل عام ١٧٨٨

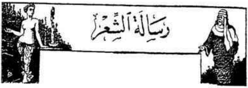
وبدد زوجها ثروتها ، حتى لم يبق لها منها إلا ثلاثة آلاف من الجنيهات كان دخلها منها مائة وخمسين كل عام ، واضطرت المرأة المسكينة أن تعيش بهذا القدر من المال ، ومعها طفلها وخادمتان له ، وأخذت نفسها بالاقتصاد الشديد . ورحلت السيدة إلى أبردين ، وجاء زوجها فاختار له مسكناً بقربها ، وصارا يتزاوران من حين إلى حين ، ولكنهما بقيا منفصلين . وطلب الرجل يومئذ ثلاثمائة من الجنيهات فاستدانتها وصارت تدفع رباها من دخلها حتى أصبح ما تعيش به مائة وخمسة وثلاثين ، ولكنها ظلت حتى بعد ذلك تحب هذا الرجل حباً شديداً ، ولم ينقص من ذلك الحب أنه عاد ثانية إلى فرنسا وتركها وابنها فى ابردين ، على أنها لم تره بعد ذلك، فقد لقى حتفه منتحراً كما أشيع، وابنه فى الثالثة من عمره

وعاش الطفل مع أمه وخادمتيه ، وكان شذوذ هذه الأم فى كثير من سلوكها لا يقل عن شذوذ أبيه ؛ كانت تحنو عليه أحياناً أشد الحنو، وتقسو عليه أحياناً أشد القسوة، حتى لتضربه ضرباً شديداً . ولقد قذفته ذات يوم بملقط النار وهو محمى فكادت تقتله ؛ وكثيراً ما رآها فى ساعات غضبها تقذف الخادمة بالأطباق فإن لم تجد أمامها أحداً مزقت ثيابها ولطمت وجهها وحطمت قبعتها كأن بها جنة . وينظر الطفل إلى أمه فيختلج فى نفسه الصغيرة الألم والرثاء والإشفاق ، وقبل ذلك رأى أباه ورأى مواقفه من أمه ومواقف أمه منه ، فكان يتساءل عما يرى مندهشاً لا يقتنع بما تجيبه به خادمته

وكان الطفل جميلاً كأبيه ، ولكنه ولد وفى إحدى قدميه عاهة فكان لا يستطيع أن يطأ بها الأرض إلا على أطراف أصابعها ، ولذلك كان فى مشيته عرج ظاهر وكان يتألم من ذلك أشد الألم ، وما كان أشد ألمه حينما كانت أمه تعيره بهذا إذ ترميه بالسيل الذى لا ينقطع من شتائمها ، ولكنه كان يكظم غيظه وإن نفسه لتنطوى على ثورة صامتة ، ولم يتمالك نفسه ذات يوم ، حينما دعته بالأعرج، أن يجيبها قائلاً : « هكذا ولدت يا أماه ! » وفى هذا الرد نلمس نغمة الشاعر المستقبلة حينما يجرى الحوار على ألسنة أشخاص قصصه . ولقد أتى بموقف شبيه بهذا فى إحدى رواياته فلقد استقرت مواقف الطفولة فى نفسه وما برحت بعد ذلك تظهر فى آثاره . وما كان الطفل يصبر على أحد غير أمه يشير إلى عرجه ؛ لقيته ذات مرة فى الطريق إحدى السيدات وهو لم يتجاوز الثالثة فقالت لخادمته : « ما أجمل هذا الطفل لولا أن له وا أسفاه مثل هذه الساق » . فبدت على وجهه أمارات الغضب وصاح بها قائلاً : « كفى عن هذا » ، ثم ضربها بكرباج لعبته محتجاً محنقاً

ويطول بنا الكلام لو رحنا نسرد ما كان يلاقيه الطفل على يد أمه من عذاب ؛ وحسبك أنهم انتزعوا منه ذات يوم سكيناً أوشك أن يجريها على عنقه يريد أن يقتل نفسه وقد ضاق بما كان من أمه . على أنه ما كان يفكر فى الانتحار وحده فكانت تحدثه نفسه أن أمه تنتوى ذلك . ومما يذكر عنهما أن كليهما ذهب على غير علم من الآخر إلى بائع العقاقير وطلب إليه ألا يبيع الآخر سماً إذا هو رغب فى شرائه

(يتبع) الخفيف



الخفاش

حين تميل الشمس عن عرشها   وتختفى حيناً إلى موعد
تطير فى الآفاق روح الأسى   جوالةً فى ثوبها الأسود

* * *

خفاشُ عبدَ الليل ماذا ترى   والفجر فى الآفاق لم يولد
وكيف ترضى العيش فى ظلمة   ضل بها الحب فما يهتدى

* * *

لما أفاق الصبح وشّى الربى   وعطّر الكون بأزهاره
ونقّط العشب بأندائه   وحرك الأرض بأوتاره
فى كل روض وتر ناعم   يدعو إلى الحب وأسراره
عرس من النور لها قائم   الورد فيه بعض زواره

* * *

إنسل فى أثنائه طائر   واندس فى كهف له مظلم
عبد من النور مضى هارباً   لم يعرف الحب ولم يحلم
حط عليه الليل أعباءه   وراح فى تياره يرتمى
يشاهد الأعراس مجنونةً   فيه ولا ينفك فى مأتم

* * *

يا عبدُ حطم من قيود الدجى   واخرج إلى النور ولا تجزع
أما تمل العيش فى ظلمة   حيران فى أطباقها ما تنى
منكساً ترنو إلى أسفل   والطير فى سلطانها الأرفع
تشاهد الأشياء معكوسة   وتدّعى روحك ما تدّعى

* * *

يا عبد، لا تشفق على ظالم   يا عبد، إن الحر لا يخضع
يا عبد، إن الطير فى شدوها   تدعوك للعود فهل ترجع
يا عبد، اسمع ما تقول المنى   يا عبد، انظر فالضحى يلمع

* * *

العبد فى ظلمته قابع   لا يبصر النور ولا يسمع

(حلب)   عمر أبو ريشة

موكب النور

[أيها النور: إن أجمل ما في الوجود قبس من جمالك!]   «بيرس شللى»

يا موكبَ النُّورِ أما زَوْرَةٌ   للناسكِ الصوفىِّ فى خلوتهْ
كبَّلهُ الدَّهرُ بأمراسهِ   فباتَ يَبْكِى الكون من شقوتِهْ
ظمآنُ للنُّورِ فهلْ رَشفةٌ   مِنكَ له تُطفى صدى غُلَّتهْ!
أسرجْ لهُ مِصباحَهُ بعدَ ما   أطفأهُ الشيطانُ مِنْ غيرتهْ
أسرِجهُ واسكبْ ضوءكَ الحلو فى   فؤادِهِ - إنْ شِئتَ - أوْ مُقلَته

* * *

يا موكبَ النورِ أصِخْ فالدُّنا   خرْساءُ إلا من لُحونِ الألم
يَزْفرُها الناسكُ فاسمعْ صدَى   أناتِهِ مِنْ قلبهِ المضطرمْ
آمنتُ بالحبِّ فلا تجحدِى   ما قدَّمتْ رُوحى لذاكَ الصنمْ
عفَّرتُ فى مِحْرابِهِ جبهتى   فما أصاخَ الحبُّ لِى أوْ رَحِم
وعُدْتُ مِنْ هيكلِهِ ذاهلاً   كأننى «يا أنت» صخرٌ أصمْ

* * *

عِفْتُ الأناسِيَّ فلا مُؤْنِسى   فى وَحدتى غير طُيوفِ العناءْ
قدْتْ مِنَ النِّيرانِ أثوابُها   وحوَّمتْ عندِى تَرومُ البقاء
فى عَينِها الأهواءُ مجْنونة   ورِيُّها فى الدهرِ مِنّا الدّماء
ولحْنُها مِنْ نَغَمٍ صادىءٍ   مَرَّ على البحرِ فكانَ الهباء
فيا شُعاعَ النورِ هاتِ المنى   فأنت سِرُّ الكون: أنتَ الدَّماء

(بنى سويف)   حسن حبشى

مناجاة ...

ريقُك الخمرُ... سِوَى أنّ لهُ   نشوةً لا تعرفُ الخمرُ مداها
فأنِلْنى منهُ ما يُسْكِرُنى   سَكرةً تطرَبُ رُوحى لِرُؤاها
ياحبيبَ الروحِ دَعنى أرْتشِفْ   وأزِلْ عن هذه النفسِ ظماها
لا تقُلْ لى فى غدٍ... إنّ غداً   حُجُبٌ صمّاءُ قد عَمَّ دُجاها
هذه البسمةُ ما أجمَلَها...   حينَ يهتاجُ فؤادى لِسَناها
كلّما عانَقتُها خُيِّلَ لى   أننى أصبحتُ للحبِّ إلاها
تسْمُرُ الأنغامُ فِى آفاقِها   إنما الأنغامُ مِن رُوحِ لغاها

الأدب في أسبوع

الإصلاح الاجتماعي

من عادتي — إذا ما استبهم عليَّ نفاذُ الرأي — أن أعدل بأفكاري إلى الليل، فهو أحصنُ لها وأجمع. فإذا كان الليلُ، وهدأت النائرةُ، وأوَى الناسُ إلى مضاجعهم، واستكنَّت عقاربُ الحياةِ في أحجارِها — تغلَّتُ من مكاني إلى غرفتي أُسدلُ ستائرها وأغلِّق أبوابها ونوافذها، وأصنعُ لنفسي ليلاً مع الليل، وسكوناً مع السكون؛ ثم أقعد متحفِّزاً متجمعاً خاشعاً أملأ عيني من ظلام أسود، ثم أدعُ أفكاري وعواطفي وأحلامي تتعارف بينها ساعة من زمان، حتى إذا ماجت النفس موجها بين المد والجزر، ثم قرَّت وسكنت، وعاد تيارها المتدفق رهواً ساجياً كسعادة الطفولة، دلفت إلى مكتبي أستعين الله على البلاء.

وأمس، حين أيقظني من غفوتي داعي «الرسالة» جمعت إليَّ ما عزمت على قراءته من الصحف والمجلات والكتب — التي هي مادة هذا الباب — وطفقت أقرأ وأقرأ، ولا أكتم أني كنت أقرأ في هذا اليوم — على خلاف عادتي في أكثر هذه الأيام — قراءة المتتبع اليقظ الناقد المتلقِّف لأضع يدي على أغزر الأصول مادة وأعظمها خطراً وأشدها بِنية... وأدسمها شحما، فإنَّ حق القراء علينا أن نتخذ لهم صنيعاً ومائدة تكون أشهى وأمرأ وأقرب متناولاً وأردَّ على شهواتهم عائدة. فلما فرغت من إعداد ما أعددت لهم وأويت إلى ليلي المختلق المزيف، جعلت أستعيد في نفسي ما قرأت، وأين وقفت منه، وما تنبهت له مما تعودت أن أستشفه من وراء الألفاظ المعبرة، ومن تحت السياق المهدف إلى غرضه — مما هو بأخلاق الكتاب وعاداتهم ونوازعهم وخفايا نفوسهم ألصق منه بأغراض الكاتب فيما كتب. فما كدت أقدح الظلام بعيني وأفكر في هذا الأمر وأستدرجه إلى نفسي حتى رأيتني أكاد أنفر من مكاني لما عراني من سوء الرأي وقسوة الظن، فإن طول تغلغلي في معاني الكتاب والشعراء، أو في معاني أنفسهم، يدلني على أن أكثر من يكتب إنما يدفع بعض الكلام إلى قلمه ليعبر عنه، غير محتفل بما يقول، فكذلك يخرج الكلام متخاذلاً مفككا كأنه ناقه من وباء مرض، ويخيل إليَّ أن أكثر كتابنا إنما يتناولون المعاني والأغراض من عَيْبةٍ جامعة غير متخيَّرة ولا منتقاة ولا مصنفة، وأنهم إنما يعرض لهم اشتهاء القول فيقولون للشهوة المستبدة لا للرأي الحاكم، وأنهم إنما يكتبون ليبقوا كتاباً في عقول الناس وعيونهم من طول ما تعرض عليهم المقالات متوجة بالأسماء مذيلة بها، وأن الكلام عندهم هو أهون عليهم من ضغطة النائم المتلفف على زرِّ الكهرباء فإذا هو نور مستفيض

لا بد للعرب والعربية أن يبرأ هؤلاء من أمراضهم ثم يقولون، وأن يعتدُّوا بجمهرة القراء اعتداد من لا غنى له عنهم ولا فقر بهم إليه، فبذلك أيضاً يصلح ما فسد من القراء الذين يقرأون الأسماء دون معاني هذه الأسماء. ويومئذ لا يشكو الكتاب من بوار أسواقهم، لأنهم يعرضون للناس الحَسَن الذي ينشيء في القلوب الإحساس بالحُسن والرغبة في اختيار الأحسن، ويتشوق الناس الجميل لأنه جميل يسمو بالروح في سُبُحات المثل الأعلى من الجمال الروحاني... ثم لا يجيزون إلا الجميل. وكذلك يترافد الكاتب والقارئ، ويعدُّ أحدهما الآخر بأسباب حياته وخلوده بين خوافق الأدب السامي الرفيع. هذا هو بعض الرأي أدعو إليه كتابنا، والأدب على شفا جرف هار إلى البوار والبلى والفساد

* * *

حَلَتْ اللثمةُ لي يا صاحبي	بعد أن كانت حراماً وسِفاها
فأنِلنيها إلى أن يَرتوى	خَلَدٌ يَعبدُ هاتيكَ الشفاها
هِيَ لي وحدى حلالٌ سائغٌ	وبِمُلْكيها فؤادي يَتباهَى
رَبطَتْ ما بيننا رابطةٌ	أَبْلَغَتْ قوة حبي منتهاها
لا تَسلني كيف تُمسى.. إنني	أقطعُ الليلَ ادِّكاراً وانتباها
أَنِسَ الليلُ فآويتَ إلى	حُلكةِ الليل وأطياف دُجاها
وكأنَّ الليلَ مَهْدٌ ناعمٌ	لشريد ضلَّ في الدُّنيا وتاها
يا نجِيَّ النفسِ في خلوتها	كن لنفسي.. أنت أقصى مبتغاها
إن يكنْ حبُّكَ ناراً تلتظِي	فليكن فردوسَ أحلامي لَظاها!

(الزقازيق) العوضي الوكيل

والآن ، وقد تحدّثت النفس ببعض كلامها ، أعودُ إلى « أدب الأسبوع » ويخيل إلى أن « وزارة الشؤون الاجتماعية » هذه التي استحدثت بعد أن لم تكن ، قد كان من فضل اسمها أن أيقظ أكثر كتّابنا إلى حقيقة ملموسة كانوا يَغُضُّون دونها أبصارهم لما تلبس صاحبها من لباس الخزى والعار : وهى بقاؤنا بين الأمم أمة لا قوام لها من نفسها وأصلها وتاريخها ، وأن مركز مصر الاجتماعى والسياسى والشرقى أيضاً قد سما فى ظن الناس ولكنه فى حقيقته أقل مما يُحمل عليه من الزينة والتألق والزخرف المستجلب بالإيحاء وإرادة الاستغلال . فقد كتب الدكتور هيكل فى « السياسة الأسبوعية » عدد (١٥٢) كلمة فى « نهضة الإصلاح فى مصر » استقصى بها تاريخها وقواعدها وأغراضها من عهد الثورة الفرنسية إلى هذا الوقت . وكذلك كتب الدكتور « طه حسين » فى « الثقافة » عدد (٥٢) يقترح إنشاء « مدرسة المروءة » . وجاء « الزيات » فى ختام فاتحة « الرسالة » لعامها الثامن يشكو إلى الله : « إن كبراءنا عطلوا فى أنفسهم حاسة الفن فلم يعودوا يدركون معنى الجميل ، وإن أدباءنا قتلوا فى قلوبهم عاطفة الأدب فليسوا اليوم من كرمها فى كثير ولا قليل ، وإن زعماءنا تفرقت بهم السُّبل بتفرق الغايات ، فلكل غاية دعوة ولكل دعوة سبيل » . وكل هذه تلتقى على أصل واحد ، وهو أن الحياة الاجتماعية لا تزال تحبو فى مدارجها ، وأن « لين العظام » يُخشى أن يطول علينا بقاؤه فى صدر الحياة حتى نقعد دون شبابها ، وأن الإصلاح لا بد أن يتعجل حدوثه ... ولكن كيف يكون ذلك ؟!

وقد ساق الدكتور طه حديثه عن المروءة ساخراً من هذا الجيل الذى طبع على سفاسف الأخلاق ، وتحطمت عنده مكارم الإنسانية النبيلة ، وامتاز عظماؤه وصغاره باعتبار الأخلاق ضرباً من التجارة يلبِّسها الغشّ والخلابُ والموارية وتلقّى التاجر للبائع بالدهان حتى يكون هو فى باطنه أظلم شىء ، وظاهره يتلألأ بمعانى الشرف والأمانة والنزاهة وإرادة الموافقة وتغليب منفعة المشترى على منفعته ، وغير ذلك من حيل التُّجار والسماسرة . فأراد أن يمزح ، فيدعو إلى اقتراحه إنشاء مدرسة للمروءة ليسخر من « تنازع الاختصاص » فى وزاراتنا بل فى أعمالنا كلِّها . وهذا كله فى مدرجه جيد لا يحاول أحد أن ينازع عليه أو يختلف فيه ، ولكن التهكم فى هذا الدهر اللاّجّ بصنوف العذاب والبلاء لا يكاد يجدى شيئاً فى الإصلاح . وهل يظن الدكتور طه أن كل هؤلاء الذين أقامتهم الأمة المسكينة على حياطة شؤونها ومرافقها وأسباب عيشها – لا يستشعرون من ذلك ما تستشعر ، ولا يجدون من معانيه مثل الذى نجد ؟ أجل ؛ ولكنهم كالذى يصف هو فيما ساق من الحديث ، فمن أين يأتى الشفاء إذا كان كلُّ الطبيب هو بعض المريض ! إن أعمال الإصلاح الكبرى لن تأتى من وزارة الشؤون الاجتماعية ، ولا وزارة المعارف ، ولا غيرهما إذا بقى الشعب ينظر إلى هذه كلها ليرى ما تعمل . والرأى لا يمكن أن يتجه فى هذا الأمر إلى تسديد وزارة المعارف ووزارة الشؤون الاجتماعية وتوقيفها على ما يجب عمله باقتراحات ومذكرات وبيانات ... إلى آخر هذه الجوع . إن عمل الإصلاح الآن موقوف على شىء واحد ، على ظهور الرجل الذى ينبعث من زحام الشعب المسكين الفقير المظلم يحمل فى رجولته السراجَ الوهّاج المشتعل من كل نواحيه ، الرجل المصبوب فى أجلاده من الثورة والعنف والإحساس بآلام الأمة كلها ، وآلام الأجيال الصارخة من وراء البنيان الحى المتحرك على هذه الأرض الذى يسمى فى اللغة «الإنسان» . وليس ظهور هذا الرجل بالأمر الهين ، ولا إعداده بالذى يترك حتى يكون ؛ بل هنا موضع للعمل وللإنشاء . وكِبْرُ ذلك مُلقًى على الأدباء والكتاب والشعراء ، وعلى كل إنسان يحترم إنسانيته ؛ فالأدباء ومن إليهم قد وقع عليهم التكليف أن يرموا بما يكتبون إلى إيقاظ كل نائمة من عواطف الإنسان ، وإلى إثارة كل كامنة من نار الهداية المحاربة التى لا تخمد ، ولا يكون ذلك شيئاً إلا بأن يعدّ كل أحد نفسه كالجندى عليه أبداً أن تكون حماسته هى روح الحرب فيه ، فهو يمشى بها فى كل عمل ، ولو فى نقل البريد من مكان إلى مكان . إذن فأول الإصلاح الاجتماعى هو إدماج عواطف الفرد فى مصالح الجماعة على أتم صورة من صور الحماسة أى القوة التى تنبعث من الدم لتطهير الدم ؛ وهذا بعض ما نتوافق عليه مع الدكتور هيكل إذ يقول فى مقاله الذى أشرنا إليه آنفاً « لم يفكر أحد فى مشكلاتنا الاجتماعية واضعاً نصب عينيه غاية قومية يريد أن يحققها ، بل ترانا إذا فكرنا فى الأمر كان الدافع لتفكيرنا فيه عواطف الشفقة أحياناً ، والبر بالإنسان أحياناً أخرى ، وهذه عواطف قد تخمد فى الأفراد ، لكنها لا قيمة لها فى حياة الجماعة . ويوم فرض الله الزكاة فى الإسلام وقرن بها الصدقة لم يقم الشارع

ذلك على أساس العاطفة الفردية ، بل أقامه على أساس النظام الاجتماعي » .

والكتابة هي زكاة العلم ، فيجب أن تقوم على هذا الأصل الفردي المتحمس المتدفق بتياره في أعصاب النظام الاجتماعي ، فإذا اتخذها كتابنا على هذا وتكلموا بقلوبهم قبل ألسنتهم وأقلامهم كان ذلك قميناً أن يبعث الرجل الذي سوف يضيء للحياة الاجتماعية سُدَف الجهل والضعة والبغي والاستبداد

أبو العباس السفاح أمير المؤمنين

أثار الأستاذ العبادي في « الثقافة » عدد (٤٧) مشكلة ابتغى حلها ، وذلك أنه وصف حِلية «أبي العباس أمير المؤمنين» أول خلفاء بني العباس كما رواها المؤرخون من أنه كان « ذا شعرة جعدة ، طويلاً أبيض ، أقنى الأنف ، حسن الوجه واللحية » وكان « شاباً متصوّناً عفيفاً حسن المعاشرة ، كريماً معطاء » إلى نهاية ذلك من كريمات الخصال . ثم استبعد أن يكون هذا الإنسان الرقيق أهلاً لتلك الصورة البشعة الطاغية التي تخلعها عليه معاني هذا الحرف « السفّاح » من الجريمة وسفك الدم والرغبة في ذلك والمبالغة فيه . واحتفل الأستاذ للحوادث التاريخية فلم يجد فيها ما يسوّغ أن يكون « أبو العباس أمير المؤمنين » سفاحاً سفاً كا للدماء ، وزاد أن ثقات المؤرخين كالطبري والدينوري لم يذكروه إلا مجرداً من هذه الصفة ، ثم رجح بدليل بياني جيد أن السفاح محول هنا على الأصل اللغوي أي الكريم المعطاء الذي يتلف الأموال ولا يبخل بها . ولكن الأستاذ « أحمد أمين » رد عليه بعض أدلته في العدد (٤٩) فردها الأستاذ العبادي عليه في العدد (٥٠) وهكذا إلى العدد (٥٢) . وأنا قد أعجبت كل الإعجاب ببحث الأستاذ العبادي ، وإن كنت أخالفه كل المخالفة ، وذلك لأنه مبني على منطق تاريخي جيد ، ولأنه أراد أن يفرق فرقاً جيداً بين كتب التاريخ وكتب الأدب القديمة من حيث الحجة في برهانات التاريخ . فإنا نجد كتباً من أعظم كتب الأدب تحمل على الخلفاء من غث الأخلاق ما تناقضه سير هؤلاء الخلفاء كالذي يروون عن الرشيد — وهو بالمنزلة من الشرف والعلم والسياسة وطول الانبعاث للغزو والحجّ — من معاقرة الخمر والملاهي والاطلاع على الحرم واستباحة الأعراض وغير ذلك مما لا يمكن أن يصح بوجه من الوجوه

هذا ، وإني أخالف الأستاذ العبادي ، فإنه حين رده الأستاذ « أحمد أمين » رجع عن تفسيره لفظ « السفاح » بالكرم والسخاء لغير علة ظاهرة وأصرّ على أن « أبا العباس أمير المؤمنين » لم يلقب « بالسفاح » ألبتة في حياته ، ولا ذكر ذلك عنه أئمة المؤرخين ، وأصر مع ذلك أيضاً على أن صفات أبي العباس وحليته تنفي عنه أن يكون سفاً كا للدماء ؛ ولا كل هذا ! فإن هذه الصفات لم يُروَ لنا إلا أقلها حتى يمكن أن نجعلها أصلاً يستشف خلق أبي العباس من ورائها ، وإن الرقة والدعة والجمال ولين الخلق تخفي وراءها أحياناً قسوة لا تدانيها قسوة ، كالذي يكون في النساء ، فإنهن قد عرفن بين الناس بالرقة « وهن أغلظ أكباداً من الإبل » وإن المرأة إذا ثارت لم يبلغ مبلغها في القسوة (أقمد) الوحوش في باب الوحشية ! ومع ذلك ... فهي الزهرة غِبَّ الندى ، وهي النسيم في السَّحَر ، وهي ...

وكنت أحب أن أستوفيَ هنا القول في تحقيق هذه الصفة لأبي العباس أمير المؤمنين ، ولكني رأيت أن الكلام قد جاوز حده ، وأن الدليل يقتضيني إثباتَ كثير مما يخل تركه بالفائدة ، فوعدنا الكلمة التالية إن شاء الله .

محمود محمد شاكر



دراسات فى الفن

أعوذ بالله إنه « مكياج » !

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

— ما هذا التخطيط ؟ أردت بالأمس أن تلحن فأخفقت ، واليوم تصور وتريد أن تكون رساماً ؟

— أبعدتمونى عن الألحان وقلتم كلاماً معناه : « أسكت » ، فهل تريدون اليوم أن تخطفوا من يدى الريشة فلا أصور . . . خذوها أيضاً !

— لا تُتَفَنَّ ولكن لا تغضب ، وارسم وسنرى فى رسمك رأياً .. فما الذى تريد أن ترسمه .. فكرة ؟ أو إنسان ؟ أو عاطفة ؟ أو عاصفة ؟ ...

— لا لا ... إنسان ، كل ما أعرفه عنه هو أنه « كاتب من الكتاب » كتب فصلاً فى عدد الرسالة الأخير يوازن فيه بين نفسه وبين سيدنا أيوب

— إذن فستكون صورته أشبه الصور بالصورة التى نتخيلها لسيدنا أيوب

— لا . . بل ستكون صورة أخرى . لأن هذا الكاتب نفسه أراد أن تختلف صورته عن صورة أيوب اختلافاً كبيراً

— وأنى لك ذلك ؟

— من كلامه هو فهو يقول : « أيوب فقد الثروة والعافية ولم يفقد اليقين ، وأنا فقدت الثروة والعافية واليقين . أضاع الله من أضاعونى ! وأيوب استطاع أن يعاتب ربه بقصيد رنان وهو فى أمان من ثورة الجمهور ، فظفر بالخلود فى عالم الفكر والبيان ، وأنا لا أملك معاتبة ربى بسطر واحد خوفاً من رئيس التحرير ، وخوفاً من شيخ الأزهر ، وخوفاً من محكمة الجنايات ، وأين نجيمة أيوب فى دنياه من نجيمتى فى دنياى ؟ كان الدينار لعهد أيوب يمون الرجل شهراً أو شهرين ، وأنا فى عهد يهان فيه الرجل إن اكتفى بالدينار يوماً أو يومين ، فمن يسلطنى على دهرى فأسجل رزاياه على نحو ما صنع أيوب ؟ وكانت الأرض لعهد أيوب بلا رسوم ولا حدود فكان المجاهد ينال منها ما يشاء كيف شاء ، وهى اليوم مقسمة تقسيما يصد المجاهدين أعنف الصدود » ... وهو قبل ذلك يقول للذين أضاعوه - فيما يظهر - « لقد أفلحتم فى زعزعة اليقين الذى كنت أفزع إليه حين تكرثنى صروف الزمان ، فأين أنتم لأشكو إليكم ما جنت أيديكم ؟ وأين السبيل إلى ترميم البناء الذى كنت أستظل به من قبل أن أنخدع بالبريق الذى أزغتم به فؤادى ... ؟ » فهلا ترين أن هناك خلافاً بين الذى يقول هذا الكلام وبين أيوب ؟

— أنا لم أقرأ سفر أيوب

— هو رجل أعطاه الله كثيراً ، فابتلاه الله ، فصبر ، فرفع الله البلايا عنه وفاز . فاختارى له ما تشائين من صوره ، وانظرى مى فى هذه الصورة الجديدة فقد يحتمل أن تشبه إحدى صور أيوب

— وأين هى الصورة ، فإنى لا أرى فى الورقة غير خطوط

— الصورة لا تزال فى الغيب وسنستدرجها معاً ... ولنبدأ بتصوير الرجل الذى فقد الثروة والعافية واليقين ... هذا الرجل ما مظهره ؟ وكيف نرسمه ؟

— نرسمه أول كل شىء فى أثواب من فقد الثروة ، وهى ليست أنيقة ولا غالية ، وهو بعد ذلك هزيل ضعيف لا قوة فيه ولا صحة ، ولا بد أن تظهر الحيرة فى عينيه ما دام قد فقد اليقين . وقد يكون بدل الحيرة جزع ، وقد يكون بدل الجزع حذر ، وقد يكون بدل الحذر قسوة ، وقد يكون بدل القسوة غيرها من سائر النزعات التى تستولى على من فقد اليقين ...

— بعد أسبوع واحد سأنشئ أنا وأنت استوديو نصور فيه العفاريت ... وما رأيك فى قوله : أضاع الله من أضاعونى ؟ أهى كراهة منه لمن أضاعوه فنرسمها على وجهه ، أم هى اعتذار عن فقدانه الثروة والعافية واليقين ؟ ... فهو يريد به أن يغفر الناس له مظاهر هذا الفقدان ؟

— أظنها كراهة ، وأظن هذا الرجل مجنياً عليه ، وأظنه لو تمكن من الذين أضاعوه لأضاعهم . . .

— وأنا يخيل إلى أن قوله هذا لا هو كراهة ولا هو اعتذار

فقد نسيت أن أقرأ عليك من كلامه قوله للذين أضاعوه : خذوني إليكم في ملاعبكم وملاهيكم ، عساني أنسى جاذبية البؤس في صحبة قلمي وكتابي !

— عجباً ! ... فهو إذن لا يكره الذين أضاعوه ، وإنما يريد أن يكون معهم . فلنرسم إذن على وجهه شيئاً من الغيرة ... أو لعلها سخرية ...

— سخرية ممن ؟ من الذين يريد هو أن يكون معهم ؟ لا . ليست سخرية . وهو بعد ذلك يريد أن يعاتب الله الذي هو الله معاتبة لا تكون إلا من صاحب حق عند نائل منه ، ومع هذا ، فهو يخشى رئيس التحرير ، وشيخ الأزهر ... فكيف نرسم الرجل الذي له حق عند الله ، وعلى علمه بهذا يخشى الأستاذ أحمد حسن الزيات ، وفضيلة الأستاذ المراغي ... كيف يمكن أن نتصور هذا ؟ إني لا أتصوره !

— ولا أنا !

— ولا أي إنسان ، فأولئك الذين يقرضون الله ، ويعطون الله ، لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . وهم يعرفون هذا من تلقاء أنفسهم لأنهم يعرفون الله ويعرفون أنهم يقرضونه ويعطونه ، ويعرفون من هو الله ، ومن إلى جانبه رئيس التحرير وشيخ الأزهر ...

— إذن فأنت تريد أن تقول إنها ناحية مبهمة في الصورة ...

— بل أقول إنها مكياج . وإنها تشبه دعاءه على الذين أضاعوه في الوقت الذي يريد فيه أن يكون مع الذين أضاعوه في ملاعبهم وملاهيهم ...

— فكأنه لا أعطى الله ولا أقرضه ...

— الله أعلم ... وهو يحسب لأيوب من النعمة أنه ظفر بالخلود في عالم الفكر والبيان لما عاتب ربه بقصيد رنان وهو في أمان من ثورة الجمهور ... فما الذي يبديه هذا الإحساس في وجهه من الأمارات ؟

— أمارات الفكر ، لا شك ، وعلامات عشاق الخلود ...

— كلا . فلو سئل أيوب أن يتحدث مرة أخرى عما نال من نعمة الله في عتابه ربه ، لذكر أنها هدى ربه ، ولما ذكر بيانه ولا قصيده ولا فكره ، فما كان أيوب يسعى إلى كلام ينمقه فيحفظه الناس عنه ويروونه له بعد موته ، وإنما كان أيوب يتجه إلى الله يطلب منه أن يصلح نفسه ، وأن يكشف له عن حكمته فيما ناله من بلوى استعذبها وصبر عليها ... فأيوب الذي كانت هذي هي نفسه هو الذي تبدو عليه أمارات الفكر لا شك ، وعلامات عشاق الخلود

— فكياج هذه أيضاً ؟

ولم لا ... هذا مقال ظهر في رأس السنة ، ورأس السنة عيد يتنكر فيه أصحابه لهواً وعبثاً . . . فلنمض مع صاحبنا هذا ، فإنه من غير شك لذيذ ...

— وهبك وصلت إلى تصوره حقاً ... فهل تجرؤ على نشر صورته ، وهو رجل لا تعرفه ، وقد يغضب عليك وأنت أحوج ما تكون إلى عطف الناس لا إغضابهم ...

— ولماذا يغضب «أيوب الثاني» من كلتين يقولهما كاتب صغير مفضوح مثلي ... إنه لو غضب لأكد غضبه لنفسه ما أدعيه من أن صورة أيوب التي يريد أن يرسمها على نفسه إنما هي مكياج ...

— إذن فامض هداك الله ، وهداه معك ، وهداني معكما ...

— آمين . لو كنت قرأت سفر أيوب لكنت رأيت فيه أن أيوب لم يتفجع من فقدان الثروة إلا على أنه مظهر من مظاهر غضب الله ... ولكن أيوب الثاني هذا الجديد يذكر الفجيعة في الدنيا على أن أفجع ما فيها هو أنها أصابت دنياه فيقول : « وأين فجيعة أيوب في دنياه من فجيعتي في دنياي ؟ » فبأي الصور تتصورين أيوب الثاني ...

— بصورة الرجل الذي تهون فجيعة أيوب في دنياه إلى جانب فجيعته فيها ... وأيوب على ما أظن فقد في الدنيا من الفقر والمرض الخبز وأدنأ ما يسد الرمق ، كما فقد الملبس وأهون ما يستر الجسد .

— فهل تظنين كاتباً من الكتاب الذين يكتبون لمجلة رائجة مثل الرسالة تصل به الحال إلى هذا ولا يعاونه صاحب الرسالة وكتابها وقراؤها ولو برغيف وبنطلون ؟ أنا لا أظن ذلك ... وهذه أيضاً مكياج ...

— إن الرجل يتكلم كلاماً يعتمد فيه على النسبة بينه وبين أيوب ، وزمانه وزمان أيوب ... فأيوب نبي ، وعاش في عصر أوفر رغداً من عصرنا ...

— وهذا هو الذي يقوله هو ... ولكن لا تنسى أنه يوازن بين نفسه وبين أيوب من ناحية واحدة فقط ، وهي هذا الشقاء الذي

يفرض أنه قد مسه ، وينسى بعد ذلك لأيوب بقية نواحيه وأولها أنه لم يكن يعرف « المكياج » وهى ناحية أساسية فى أيوب وفى كل من يريد أن يكون كأيوب .

— فلندع هذه أيضاً ...

— ولنر إلى قوله إن الدينار والدينارين ...

— لا لا ... فلندع هذه ... فإن الكاتب من الكتاب الذى يشعر بأن الإنسان يهان فى هذا العصر إذا اكتفى بالدينار فى اليوم أو اليومين ... فهو من غير شك قد رحمه الله من إهانات يا لها من إهانات لو لم يكن ينفق الدينار فى اليوم أو اليومين ... كان الله فى عون الكتاب وغير الكتاب من أبناء اليوم الذين ينفقون الدينار فى الأسبوع أو فى الشهر أو فى العام ... إن هؤلاء هم الأيوبون

— بعدها يا سيدتى قوله : ومن يسلطنى على دهرى فأسجل رزاياه على نحو ما صنع أيوب ؟ فهو لا يسجل على دهره الرزايا إلا إذا سلطه على الدهر أحد ، على الرغم من قوله إن الدهر أوجعه وأشقاه ... فكيف نصوره أمام الدهر ؟

— لو كان خائفاً من الدهر لكان قد سكت على الدهر ولم يناوشه ولم يصارحه العداء ، ولو كان هاجماً على الدهر لما عبأ بالدهر ولما طلب الذى يسلطه عليه ويمكنه منه ، فلا هو خائف ولا هو هاجم ...

— فماذا يكون إلا أنه صاحب سياسة مع الدهر حكيمة فهو لا يهاجه على الرغم من عدائه له انتظاراً لمن يسلطه عليه ؟ ...

— ولكنه على هذه الحكمة يصارح الدهر بالعداء ... وليس من الحكمة فى شىء أن يصارح الإنسان عدوه بالعداء وهو عاجز عنه خائف منه ...

— فهذه الحكمة أيضاً مكياج أوهذه الصراحة هى المكياج . . والله أعلم ... على أنه قد خطرت لى الآن صورة مضحكة قد يجتمع فيها ملامح هذا الاضطراب كله : فى الريف عندنا ناس يسلطهم الأعداء على أعدائهم ... فيكرهون ويعادون ويحاربون ويقهرون ؛ تبعاً لما يوحى به إليهم من يسلطهم . . . وهؤلاء من كثرة تدربهم على التسلط والتسليط أصبحوا يتساهون فيما ينالهم هم من الأذى فلا يأخذون بالثأر لأنفسهم ولا يستردون حقوقهم ، لأنه لا أحد يسلطهم إلا على أعدائه هو لا على أعدائهم هم ... فما رأيك ؟

— ولكن هذه لا يمكن أن تكون صورة كاتب من الكتاب

— إنى قلت ذلك ... فالمفروض أن الكاتب من الكتاب له رأى خاص وكيان خاص وتفكير خاص ؛ وهو يموت ولا يحتمل أن يسلطه إنسان على شىء ...

— ولكن كيف ذكرت الريف وأنت لست منه ولم تحل به إلا خطفات ؟

— لعل الذى دفع صورة الريف إلى ذهنى هو قول صديقنا : وكانت الأرض لمهد أيوب بلا رسوم ولا حدود ، فكان المجاهد ينال منها ما يشاء كيف شاء ، وهى اليوم مقسمة تقسيماً يصد المجاهدين أعنف الصدود ... فالأمر الذى لا شك فيه هو أن ذكر الأرض يكثر على ألسنة الريفيين .

— ولكن الرجل ذكر بعد الأرض البحار فقال إنها كانت مصادر خيرات ، وذكر السماء وقال إنها كانت مساقط غيث ومذاهب نسيم وهذا هو ما يدعونى إلى القول بأنه كاتب من الكتاب يزن الكلام ويوازن المعانى ، أفكنت تريدين أن يسكت عند ذكر الأرض فقط فتكون منه هذه هى الواحدة التى يهمل فيها « الماكياج » ؟ إنه كاتب من الكتاب ... وهو إلى أنه كاتب يرى نفسه مجاهداً ، وكان يجب أن تكون الأرض بلا حدود ولا رسوم لينال منها المجاهدون — وهو منهم — ما يشاء كيف شاء . . . إنه يريد الأرض ويريد أن ينال . . . والآن أرشدينى وقولى لى كيف تكون صورة هذا الكاتب الصديق ... هل تستطيعين أن تبحثى لى عن « موديل » له أرسمه ...

— لا ...

— وأنا قد بدأت واعترفت بالعجز ، ورسمت هذه الخطوط التى رأيتها فى الورقة فلم ترضى أن تقرى فى البدء بأنها صورة إنسان ...

— ولكن هذا الذى رسمته يا شيخ ليس صورة ما . أعوذ بالله

— هى صورة ، ولكنها مرسومة بالأسلوب « المودرن » ... وكم أحب أن أعرف رأى صاحبها فيها — من غير غضب — وعليه منى السلام ومن الله الرحمة والبركات .

عزيز أحمد فهمى



قانون نيوتن الثالث

وارتباطه بحياتنا العامة

للأستاذ ابراهيم زكى أباظة

إن معظم القوانين الطبيعية التى وصلنا إليها كانت نتيجة تجارب جاءت إما عفواً ، وإما استنتاجاً من قوانين أخرى سابقة. وكثيراً ما عد العلماء ورجال البحث أهمية القانون بتعقده وصعوبة الوصول إلى الحلول التى كشف عنها أكثر مما يلعبه من دور هام فى مناح مختلفة من حياتنا العامة، سواءاً كانت هذه النواحى مباشرة فى ظهورها ، أم غير مباشرة فى تأثيرها . ولعل الشهرة التى يتمتع بها السر إسحاق نيوتن تتمركز فى المكان الأول على قانون الجاذبية العام الذى وضعه ، ثم ما تفرع عنه من مشاكل ومسائل طبيعية ورياضية جعلت صاحبه من أعاظم الرياضيين .

فنى نفس الطريقة التى كشف بها قانون الجاذبية العام عن مظاهر طبيعية عدة ، كان الإلمام بها يُعد قديماً من عمل الخوارق . كذلك يمكننا بواسطة عدة تحاليل علمية ومنطقية أن نتوصل إلى أن قانون « نيوتن الثالث » ، لا يترك ناحية من نواحى حياتنا إلا وله فيها تطبيق وعمل . وعلى مدى مرونة هذا القانون تُبنى أهميته وتجعله فى مقدمة القوانين العامة التى تشترك بها جميع العلوم .

ينص هذا القانون على أن لكل فعل رد فعل مساوياً له وفى عكس الاتجاه :

فإذا تكونت فى جسم ما قوة من نوع (سالب) عندئذ وجب وجود قوة معاكسة ومساوية لها من نوع (موجب) . فإذن وجود الواحدة يعنى وجود الأخرى أو الإثنين . فإذا لاحظنا الأمور التى تجرى أمامنا، وتبصرنا كل جسم وحيز ، كل جماد وحى، وكل غاز وصلب ، وجدناها تقع تحت مؤثرات تختلف باختلاف أنواعها ومصادرها . حتى الفكر والعلم والزمن وكل شىء معنوى تتجاذبه مؤثرات متعاكسة النوع تؤثر فيه حسب ناموس قديم متناسق تناسقاً منطقياً يستند على هذا القانون ؛ وهذا هو التفسير الذى نبنى عليه هذا البحث

فلو أراد شخص رفع ثقل عن الأرض كحجر بواسطة حبل فاقتلعه بقوة لانقطع الحبل ، لأن قوة كبيرة تساوى القوة التى بذلها الرجل فى الرفع قد وجدت فى الحجر، ولكنها تسير مضادة للأولى، وهكذا تتكون قوتان متعاكستان فى المفعول فينتج عن هذا التدافع العكسى تأثير على الحبل يتناسب مع حدة هاتين القوتين المتحاربتين فينقطع. ولكن لو رفع بلطف لما انقطع ، لأن القوتين اللتين تعملان فى اتجاه معاكس تخف وطأتهما على الحبل لدرجة يستطيع تحملها بعكس ما يحدث فى الحالة الأولى

هذا مثل من أمثلة عديدة لها أهمية خطيرة فى علم الطبيعيات . ولا أظن أن تطبيق هذا القانون فى بقية العلوم إلا كاشفاً عن أسرار تساوى أخواتها فى الطبيعيات إن لم تفقها .

لقد أثبت علم النفس أن الشرير مهما تمادى فى شرّه ، وأن المرأة الساقطة مهما تطرّفت فى انحطاطها، يُكنان فى فؤادهما من الروح الصالح والطينة الطيبة ما يمنع قطع الأمل من إصلاحهما . فكم من متهتكة عاهر أصبحت يوماً ما من أرق القلوب وأعطفها على المظلومين والضعفاء والمرضى ، فذهبت تجعل ما بقى من حياتها وقفاً على مواساة المريض وإعانة الضعيف . فبمقتضى هذا القانون — وإن كان طبيعياً — نثبت أن المقدار أو النسبة المئوية من الخلق الشرير لا بد وأن يوجد مقدار مساو له تماماً ، ولكن من الناحية المضادة ، أى من الخلق الحسن المحمود. وأما تعليل تفوق عنصر على ضده فهو أن ظروف الحياة والبيئة ساعدت على نمو الواحد وعرقلت نمو الآخر بنفس الطريقة التى يبيد بها نوع من المكروبات أناثى حشرة ما ، بينما يساعد على بقاء ذكورها ، أو يقتل نوعاً من الحشرات ويبقى على نوع آخر . فإن امتد الأجل بذلك الشرير ضعفت العوامل التى ساعدت على تيقظ خصلة خلقية فيه وقتلت المضادة . عندئذ تسنح الفرصة لظهور الطرف الثانى من الكيان الخلقى الذى لبث دهراً مديداً طى الخفاء

ومما نلاحظه كثيراً وأثبته علم النبات أنك إذا بترت غصناً من شجرة فلا بد من ظهور طلع فى مكان آخر من الشجرة : أى أن العضو الذى يُعاق نموه فى مكان ما يسير اتجاه نشاطه إلى مكان آخر ؛ وربما لم يصلح جذع الشجرة كله لظهور

طلع جديد بدل المبتور ، عندئذ نلاحظ أن طلعاً أو عدة طلوع برزت قرب الجذور. هذا فى أغلب الحالات وفى بعضها تحول فاعلية العضو المبتور إلى عضو آخر فتزيد فى نشاطه مثلاً كأن تزيد نضرة الورق أو نضوج الفاكهة . ونفس النظرية يمكن تطبيقها فى جسم الإنسان أو فى أى جسم حى

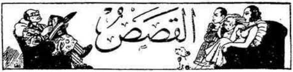
هذه الأمثال من حيث الظواهر الطبيعية التى فسرت حسب هذا القانون . فنستنتج من ذلك أن كل جسم فى الكون حياً كان أم جماداً يتكون من عنصرين : سالب وموجب . ففى الوقت الذى يسيطر فيه أحد العنصرين على الحالة القائمة فى الجسم يختفى الثانى ـ ولكنه لا يزال موجوداً ـ فكأن نظام تسلط الفرد أو مجموعة من الأفراد التى هى من عنصر واحد قائم حتى فى خفايا التراكيب الكونية مهما تنوعت أصنافها . وهنا تتاح الفرصة للظروف أن تقرر سيادة أحد العنصرين واختفاء الآخر مؤقتاً ـ كما فى الأخلاق ـ مع أن توازن الجسم لا يتوفر إلا بوجودهما معاً وإن نشط الواحد وفتر الآخر

ففى المثل الأول من مقالنا قلنا إن رفع الحبل بعنف أو بلطف سبب الحالة التى قررناها . فهنالك قوتان تسيران متعاكستين فى الحبل وجدتا وتركزتا فيه عند ما تم فتله. وهاتان القوتان متساويتان فى الجذب؛ وبهذا نعلل كون الحبل لا يتحرك أو لا يتحرك فى حالة عدم وقوعه تحت مؤثرات خارجية ، فتبقى القوتان ساكنتين، حتى يجيء باعث أو محرك خارجى فيثيرهما ويجعل لواحدة السيطرة على الأخرى . ففى حالة هذا الحبل سيطرت القوة المعاكسة لثقل الوطأة فقطع، وبالتالى سيطرت القوة الأساسية التى بذلها الرافع فلم ينقطع . فالسالب والموجب إذن موجودان فى أى كيان لا يلزمه سوى باعث يثير الواحدة على الأخرى والنصر يعتمد على شدة هذا الباعث أو المحرك

وهنا نظفر بحقيقة فى علم الأخلاق على جانب من الخطورة عظيم ، إذ يمكننا تحت ضوئها أن نصلح أى خلق شاذ فى أى شخص إذا فهمنا روح هذه النظرية وسرنا فى تطبيقها بخطوات منطقية متوازنة . فإذا فرضنا أن شخصاً مصاب بمادة الحياء أو الخوف أو الاستكانة ، فما علينا إلا أن نعمل على إيجاد الظروف والمناسبات التى تكثر فيها الحوادث التى يعاوده فى أثنائها مفعول استحيائه أو خوفه مع الاستعانة فى تنبيه فكره بواسطة غير مباشرة إلى ملاحظة ما يترتب على عمله ، ولتكن هذه المصادفات متتابعة متلاحقة — ولكن بشرط إعطائه الوقت الكافى للتأمل فى أعماله — بحيث يتركز مفعولها وأثره . فما من شك مطلقاً فى أن صفة خلقية معاكسة تنشأ وتترعرع حالاً بقوة وتطرف موازيين للقوة والتطرف فى الحالة الأولى أى فى حالة وجود الاستحياء والخوف ، فتنشأ الجرأة بدل الأول والشجاعة بدل الثانى

واستناداً إلى تفسير هذا القانون والنظرية العملية التى استخلصت منه يصبح فى مقدورنا التنبؤ بعدة نظريات وآراء علمية عديدة منها ما ظهر وبرهن على وجوده فى العلم الذى يتعلق به ، ومنها ما يمكن التنبؤ به استناداً إلى هذا القانون ، إذا تحرينا فى استنتاجاتنا الخطوات المنطقية . ومن النظريات التى تنبئ بها على ضوء هذا القانون — طبعاً بصورة غير مباشرة — نظرية تركيب الذرة atome . ففى الوقت الذى عرفت فيه بواسطة التفاعلات الكيميائية بين المركبات من نوعى Polar Componnds و Nonpolar Compounds الكهارب التى تسير فى مداراتها حول نواة الذرة atom وهذه ما تسمى بال Satellite electrons عندئذ عرف وجود البروتون protons لأن الكهارب هى الشحنات السالبة والبروتونات هى الشحنات الموجبة ووجدت هذه الشحنات المختلفة بنسب متساوية تماماً فى الذرة

وهنالك من الأحياء فى الطبقات الدنيا ما لا يزيد تركيبه على خلية واحدة تقوم فى نفس الوقت بجميع عمليات الجسم الضرورية كالهضم والتنفس والإفرازات ، ومن هذه الحيوانات ال amœba وال paramecium . فلو تصورنا وجود هذه الحيوانات ذوات الخلية الواحدة فى أقصى طرف من عمود خشبى يستدق فى طرف ويتدرج فى الغلظ وتخيلنا هذه الحيوانات الدنيا كأنها تشكل نهاية الطرف المستدق فلا بد إذن من وجود حيوانات تقابل هذه على الطرف الآخر من العمود ، وأنها تكون نهاية فى الغلظ لوجدنا أنه يتحتم وجود حيوان متناه فى قوته وجرمه فائق فى دقة تراكيبه الجسمية ووظائف الأعضاء فتكون قوته وحجمه متطرفين بل متناهيين فى التطرف بالقدر الذى تكون فيه الأميبا متناهية فى الضعف والتلاشى ودقة الحجم . فلو احتجنا إلى مكرسكوب قوى لمشاهدة الأميبا بما فيها من تراكيب غاية فى البساطة ، لأمكننا أن نتصور بل نتأكد من وجود حيوان كبير جداً يعجز نظرنا عن الإحاطة بجرمه إلا إذا ذهبنا



الأب ...

لجي دي موباسان

بقلم الأستاذ مراد الكرداني

تعلقها لحظةً سنحتْ لعينيه . فقد كانت ذات جمال هادئٍ صارخ ، يتسلل إلى الحواس فى دَهاء ولطف ، حتى إذا تمكن واستوى ، فعل فعله ، ودار فيها على طبيعته حنيناً ورغبة ونداء . ثم كان لزاماً عليهما أن يتراءيا كل صباح ، لأن عملهما كان يقتضيهما أن يهبطا باريس كل يوم مع الهابطين .

لم يكن يعرفها ، وما كان رآها ، إنما كان يجد نفسه فى كل صباح جالساً تجاه فتاة جميلة ، سرعان ما أحبها ، وسرعان ما ألقت أنوثتها فى ذهنه أنها امرأة وديعة لينة ، ضعيفة ، فشرع يغزوها كان يحملق فى وجهها ، وخديها ، ثدييها بشراهة عجيبة . وكانت إذ تدرك منه ذلك تحملق فيه ، فلا تردُّ عينه عنها ، فتضطرب ، ويصعد الدم وفيراً إلى وجنتيها ، فتزداد جمالاً وفتنة، فيزداد هو شوقا ورغبة ...

ولا يدريان : لا هو ، ولا هى ، هل كان واحد منهما يحرص أن يكون جار صاحبه فى مقعد المركبة كل يوم؟ أم هى مصادفة ساقها القدر وفـّقت أن يلتقيا هكذا أسبوعاً كاملاً ؟ . . . كان لا مفر بعده من أن تجرى بينهما بضعة كلمات خفاف قصار فى ابتسامة أخف وأقصر ، لعلهن كن تمتمة شكر لقاء أن آثرها وأجلسها فى مكانه فى يوم كانت العربة فيه ملأى بركابها . . .

وفى اليوم التالى تصافحا يداً بيد ، ثم تكلما ، ثم تصادقا ... ثم كانت له برغم ذلك شاغلاً يملأ خلايا مخه طول يومه وسواد ليلته ، إلى أن يلقاها ... وإنه ليرقب مشرق وجهها على فؤاده بشوق وحنين ، وإنه ليفكر فى نصف الساعة التى ينعم فيها بها ، حتى إذا بلغا غايتهما، وآن لها أن يفترقا ، شعرَ بفراغ هائل يداخل نفسه؛ وتعاظمته تلك القسمة الحرام التى قسمت له من زمان حبيبته جزءاً واحداً من ثمانية وأربعين جزءاً ...

لمسافة بعيدة حيث نتمكن من رؤيته كله . ولهذه الحقيقة ما يؤيدها تاريخياً وهو وجود حيوان يسمى بالدينصور الذى زعم المؤرخون أنه كان هائل الجسم والبطش إلا أنه انقرض بفعل الثلج فى العصور الجليدية . وكذلك الحيوان الذى يقال بوجوده أيضاً ويسمى بالتراخودن من فصيلة الدينصور ، ويقدرون قوته وسرعته بأنه يقطع مسافة سبعة أميال بخطوة واحدة من خطاه . وفى البحار ما يقارب هذه الحيوانات كالحيتان ، فمنها ما يقابل - تقريباً - فى الكبر الأميبا فى الصغر

ولا شك أن الحيوان الذى يتمم هذا التقابل قد وجد ورتع يوماً ما على ظهر الأرض وسوف يكشف عنه العلم والتاريخ يوماً ما .

هذه حقائق يمكن أن نتلمسها بالفكر والنظر البعيد . كما أنه من الممكن بهذا القانون التنبؤ بنظريات واقعية تجرى مبادئها مجرى العمل فى كل مضمار من مضامير العلم . وأعتقد اعتقاداً راسخاً أن العلم السائر دوماً إلى الأمام سوف يبرهن عليها بقوانينه وحسابه وملاحظاته وتجاربه إن لم يكف قانون نيوتن الثالث للبرهنة عليها بصورة حاسمة

كما لا شك فى أن ما نجده من تناقض واختلاف — حسب ما نعتقده — سواء فى مجرى الأحداث الطبيعية أو شتى شؤون الحياة المتنوعة أو طباع الناس وأخلاقهم ، لا نجد له تعليلاً منطقياً غير الرجوع إلى هذا القانون . ولو نجحنا فى بعض الأحيان فى إيجاد تعليل إلا أن المصدر الأعلى الشامل لتعليل جميع ما نرى من متناقضات وأضداد فى مجرى الطبيعة والحياة اليومية وسَير التاريخ العام هو هذا القانون الخالد ما خلد صاحبه

(نابلس) ابرهيم زكى أباظة

ولما توثق ما بينهما اشتهى أن يكون وإياها رجلاً مع امرأة ؛ ولعلها اشتهت مثلما اشتهى لأنها قالت له في صباح يوم سبت من أيام الربيع ، وهما يتواعدان أن يلتقيا غداً في مطعم فاخر :

— قبل أن نذهب أحب أن أقول لك كلمة ، وأمامنا عشرون دقيقة نستطيع أن نقول فيها كلمات ...

وتغافل هو عما أحسه من اضطراب جسمها واهتزاز ذراعها في ذراعه وهي تلقي إليه قولها ، قالت في صوت خافت :

— أحب أن تعلم أنك ستطوي نهارك مع فتاة شريفة لا تحب أن تذهب مع رجل حتى يتعهد باحترامها ...

وتوهج خداها وحرّت أنفاسها وتمنّف اضطرابها ، ثم تمد تملك أمر نفسها فسكتت ، وسكت هو لا يدري ماذا يقول فقد كان في حسابه أنه سيمتع نفسه بكل ما يمكن أن يفعله رجل يحب فتاة . وإذ لم يحُر جواباً ثَنّت هي تقول :

— إنني لن أذهب معك حتى تتعهد باحترامي

***

ولما برحا المطعم الموعود سارا معاً على ضفة النهر يمتعان أعينهما بالماء الحالم في هدأة الأصيل وبالجو المتجسج الدافيء . وكانت لمعة الضوء تتكسر على صفحة الماء الحابي ، والأسماك تتواثب وتتلاعب ثم تنغمر في الماء . وأشعة الشمس تسيل فتصبغ الماء والحشائش والأفق بلون رهيب ... كان كل ذلك يزيد من جمال النهر ويكسبه روعة وجلالاً

وتفاعلا في روعة هذا الجمال الضافي فراحا يلعبان ويثبان . وراحت هي تشتبك في ذراعه ثم تتركه لتدفعه من ظهره . ثم تجري منه ضاحكة ثم تُوائمه لتنحني فتجمع له الزهر النامي على حافة النهر وتقدمه له أو تلقيه في الماء . وظلا هكذا — كطفلين غريرين — حتى جرت دماؤهما. ثم سارا هادئين لحظة لأنها بدا لها أن تقول له:

— ماذا تظن فيّ وقد جئت معك منفردة !

— إن هذا أمر عادي مألوف

— لا . ليس عادياً ولا مألوفاً ، ولكني مع ذلك لا أظن أنني أكره مثل هذا الطيش ، ولي أم مريضة ومتعبة كانت أولى بوقتي هذا ، ولم يكن يليق أن أتركها وألهو ولكن ... ولكن أرجو ألا تسيء بي الظن

ولم يكن لديه جواب لهذا الخلط الذي لم يفهمه سوى أن مال عليها فقبلها قبلة أخطأت خدها وأصابت أذنها . فنفرت منه كظبي مذعور وتغاضبت عليه . ولم تطل . . . بل أقبلت عليه تذكره بوعده لتمهد أن يعودا — كما كانا — مرحين لاعبين

وكان الهواء قد رق وصفا . وسرى عِطري الروحة والندوة يحمل في طوايا هبته شذاً قوياً يدير الرأس حين يدور فيها عند ما بدت لهما من بعد حديقة لفاء يحبو تحتها ماء النهر، وتنوشها ذراعا أشعة الشمس الغاربة ، كانت تبدو من بعد كسرادق مظلم أو ككهف عظيم . ولما قارباها أخذت هي تحدّق فيها بعين بارقة مفتوحة ، وقالت في صوت خافت كأنه يأتي من أعمق أعماقها

— ما أجملها ... ما أجملها !

ولما اقتحماها وسارا فيها بلغا فيها خباء بين دوحتين فارعتين لا تبلغه العين ، ولا يبلغه الضوء ، إلا قِطعاً نثاراً كنقوش الثوب، وملأت رأسيهما فيه ريح عطرة مثيرة قوية ! فجلسا حالمين تائهين ... ثم تقاربا في بطء وسكون ، ثم تضاما ، ثم عصفت بهما نار الرغبة فلم تملك إلا أن تحس فمه بشفتيها . فجعل يعتصرها بجنون ، ويضمها إلى صدره بشوق وقوة وعنف ، وقد غابا ونسيا نفسيهما ... !

***

ولما أفاقت لم تكن تريد أن تصدق ... ثم أخذت تصيح وتصرخ ... ثم هدأت لتبكي ... ثم لما فرغت لم ترد أن تسمع لكلماته وهو يفرغها في أذنيها ليخفف عنها ما بها من جزع وأسى ، بل جعلت تهتف في صوت خافت ضعيف :

— رب ماذا فعلت ... ماذا فعلت !

وساوره الخوف والفزع مما رأى من حمرة خديها وعمق عينيها وجعل يرتعد وهو يرجوها أن تبقى ليتفاهما ، وليدبرا الأمر على

قانون الواقع ولكنها تركته دون كلمة أو وداع ...

***

ولما لقيها في اليوم التالي ألفاها ساهمة شاحبة ظاهرة الأسى ، كأنها خالصة من أعقاب مرض طويل أضناها وذوّب قواها . قالت له حين تصابحا في همس :

— أريد أن أتحدث إليك قليلاً ...

ولما انفردا قالت له في ألم وجد :

— إنه ليحسن بنا أن نفترق ، فإن من الخير ألا نلتقي بعد ذلك ، وبعد الذي كان لا أحب أن أراك لأنني كنت ضعيفة ومجنونة ، فليس هناك ما يبرر أن أعود لهذا الجنون وذلك الضعف مرة أخرى !

فجعل يتوسل إليها أن تلحق به وهو يؤكد لها أنه سيصلح ما أفسده . وأنه سيتزوجها إن شاءت ومتى شاءت ولكن عبثاً ما حاول فقد رفضت أن تسمع له وتركته ومضت

ولم يعد يراها . ومر أسبوع وأسبوع ، ولم يكن يعرف مأواها ، ولعله أيس منها أو لم يقطع في أمرها بأمر ، لأنه ذهب مرة يفتح الباب لطارق فوجدها هي . وأثلج صدره أن شعر بها فيه ، تملأه وتهدهده ، ورأى ذراعيه قد التفتا عليها ، وجعلتا تضغطانها في رفق وشوق ...

وعاشا معاً ثلاثة شهور شعر بعدها بالملل منها ، فتهابط حبه لها وشغفه بها ، ونقصت رعايته إياها وعنايته بها ... ثم جَبُن وتَساقل حين ذكرتْ له أن جنيناً يتواثبُ في أحشائها فكأنما كان هذا النبأ عصاً ألهبته ، لأنه فرّ من وجهها مسرعاً لا يلوي . واختفى ... لا حذرها ولا أخبرها إلى أين ... ولا هي ارتضت لنفسها أن تبحث عنه

لقد طاوعت كبرياءها فلم ترد أن تفعل ، ولم تجد في وُسع عينيها سوى أمها ... فتهاوت في صدرها حزينة باكية تشكو لها بثها ، وترجو عندها الستر والصفح والسلوى ...

***

وفي الجانب الآخر عاش الخاطئ المسكين عيشة مضطربة قلقة سمجة ، لا معنى لها ولا غناء فيها ... عاش وحيداً منعزلاً ، لأن عليه أن يعيش ... كانت الدنيا في عينيه مظلمة قاتمة سخيفة لا خير فيها . ولو لم يكن لديه إلا عمله يرى فيه بضعة وجوه لمات كمداً ومللاً ... فتخامد شبابه وانطفأ نور حياته في حضيض خطيئته . وغدا على الدنيا شبحاً يود لو ينتهي

وكان يقسو عليه ألمه أحياناً فيضيق بوحدته فيخرج في آصال أيام الأحد ليسير ثقيلاً متباطئاً ، وما هي إلا خطى معدودة حتى يجلس ملولاً ضيق الصدر ، ليرى الأسر السعيدة مغتبطة هانئة بأطفالها التي تجري حولها بوجوه ضاحكة مستبشرة . وكان هذا المرأى في ذاته يزيد ألمه وحزنه ، ويسلمه إلى شعور عنيف يستبد به فيشعر أن قلبه ينسحق تحت معول ضخم ، فلا يملك لنفسه إلا أن يطرق ويصمت

وفي ذات صباح وكان يسير شريداً مضنّياً ، لمح امرأة تتهادى بين طفلين يلعبان حولها ، أما أحدهما فطفل لم يجاوز الرابعة ، وأما الثاني فغلام تشرّف على العاشرة

اهتز حين رآها وداخله نحوها شعور ما ، ولما لم يكن مخطئاً جد ولم يستطع حراكاً ، فقد فَقَدَ هيْمنته على نفسه ، ولم يعد إلا عيناً تدور وراءها وتتابع حركاتها . وازداد يقينه حين شعر بحنين عنيف يثور في صدره نحو أكبر الطفلين عند ما التفت مرة فوضحت ملامحه ...

في تلك الليلة لم ينم ، فقد سهّده أمل أشرق ثم خبا . فبات فريسة تفكير مضنٍ طويل : تُرى هل هذا ابنه ... وهل هي هي ... ؟ وإذا كان فماذا أستطيع أن أفعل ... ؟

وزاد بلاؤه أن طُمس على ذهنه فلم يدر ماذا يستطيع أن يفعل ... ولكنه غَنِمَ أن عرف أنها تزوجت رجلاً من جيرتها وكان شهماً فاضلاً غفر لها واعترف بابنها وعُني بهما ...

وكان إشراق وجه ابنه في سماء حياته المظلمة ألماً جديداً فوق آلامه ، إذ أشعره ذلّ الوحدة وعذاب الحرمان ، فاضطرب اضطراباً شديداً ، وامتلكه اليأس والأسى ، وأصبح لا يرجو إلا أن يضم ابنه إلى صدره ويقبله ليشبع منه شوق السنين ، وليعلق

لوعة الحرمان التى شبت فى نفسه فنطت آلامه جيمها

وقام فى ذهنه أن يعترض طريقها ، فأسرع نحوها فأخذها من كتفها ؛ فلما التفتت إليه صرخت صرخة رعب مكتومة ، وحنَت على ولديها فطوّقتهما وأسرعت تجرى بهما

ومر شهران يئس فيهما أن يراها أو يرى ولده . وحنق على نفسه أن حرمها رؤية ولده ولو عن بُعد . فجعل يكتب لها ... كتب لها نحو عشرين رسالة لم يتلقّ رد واحدة منها ! فأحس مرارة الخيبــة تمور فى ألم الحرمان فترهقانه وتعذبانه عذاباً أليماً

ولما يئس أن يراها فكـر وقدّر ، ثم فكر وقدر ، فلمعت له فى ظلمة يأسه خاطرة هى أن يكتبَ لزوجها... ولما جاءه الرد أنه يسره أن يلقاه فى مساء يوم معين لم يكن بأسعد حالاً مما لو كان أمهله كما أمهلته هى من قبل . فقد كان دَقّ قلبه — وهو يصعد الدرج — سريعاً مزعجاً . وكان ينتزع رجليه انتزاعاً ويراود نفسه — وهو صاعد — أن يرجع !

وكانت ثيابُ الرجل السود ورهبته فيها وسحنته المتزنة الوقور التى طالعه بها . . . كان كل ذلك قد خلع قلبه وطير ما بقى له من قوة واتزان . وحين أشار له الرجل أن يجلس ، جلس متداعياً مذهوب العقل ، ضائعاً ...

قال الرجل فى لهجة عميقة ورنة آسفة :

— إن زوجتى حدثتنى عنك ...

فرد يقول فى صوت خفيض متقطع :

— إننى يا سيدى غير سعيد لأننى لا أستطيع أن أرى ولدى

وهب الرجل فنادى ... فدخل غلام فى نحو العاشرة مسرعاً إلى الرجل الذى يعيش معه على ظن أنه أبوه ... ولـكنه وقف فجأة حين انتبه إلى أن بالحجرة رجلاً غريباً ...

وقبله أبوه قبلة كلها حنان وعطف . وقال له مشيراً :

— إذهب وقبل هذا السيد الجالس هناك . وسار الطفل نحو « السيد الجالس هناك » وديعاً خجلاً ، ضيق الخطى . وأحس هو – وطفله مقبل عليه – أن دُوَاراً شب فى رأسه حين نظر إلى عينى ابنه وهما تطالعانه وتنظران إليه

وقام الرجل (صاحب البيت) فدار على نفسه واتجه صوب النافذة ، حين وافى الولد أباه ، وحين فتح له هذا ذراعيه فاحتواه فيهما ، وحين أخذ يقبله بجنون فى شعره وعينيه وخديه وفمه وذقنه وكل وجهه ، وحين انزعج الطفل من هذه القبلات العنيفة وأراد أن يتحاشاها ويبعدها عنه ، وهو يدير رأسه إلى كل ناحية ليتخلص منها فلم يستطع ، لأن الذراعين اللتين أحاطتا به قد تصلبتا عليه ... ...

.... ثم تراخيا عنه ، لأن رقة قلبه شاعت فى كل جسمه ؛ فرَحِمه وتركه ، ليمسح دموعاً انسابت من عينيــه ، ونهض صارخاً يقول :

— وداعاً ...

وأسرع فنزل الدرج قافزاً كالهارب ، وحين احتواه الطريق انغمر فى الظلام كاللص .

مراد الكردانى



هذه الحرب ستزيل الحرب

[ملخصة عن « فورتنايتلى »]

منذ أربعين سنة كان الناس يظنون أن الحروب الدولية هى الطريق الطبعى الذى يدل عليه المنطق وتستحث إليه البطولة فى فض المنازعات . فإذا قتلت إنساناً — وكثيراً ما يحدث هذا — فأنت تقتل شخصاً أجنبياً عنك . أما الحروب الأهلية ، فقد كانت من الأعمال الممقوتة ، لأن القتل فى هذه الحروب كان بمثابة قتل الإنسان لأخيه ؛ فكانوا يعدونه خروجاً عن حدود الطبيعة لا يصح أن يقترف على وجه الإطلاق .

وقد كنت مخالفاً لهذه الفكرة منذ عدة سنين . فلم أعتقد فى ذلك الحب الأخوى المزعوم ، ولم أظن فى يوم من الأيام أن الإنجليزى أحق بالحب من الفرنسى ، أو الألمانى ، أو الأمريكى . إن الإنسان حر فى أن يحب هذا أو يكره ذاك . ولكنى أعتقد أن الحرب الأهلية أقل خروجاً بنا من الحدود الأخلاقية من الحرب الدولية لسببين :

السبب الأول : هو أن النضال فى هذه الحرب لا يقوم لأجل انتزاع الأرض ، أو الاستيلاء على المعادن ، أو التهافت على السيادة وإنما يقوم على فكرة أو مبدأ .

والسبب الثانى : أن تلك الحرب ، حرب شعبية ، وثورة ضد الحكم السيء ، تترك فيها الحرية لرجل الشارع فى اختيار الناحية التى يريد أن ينحاز إليها .

ويخيل إلى أن الحرب الحاضرة هى من نوع الحرب الأهلية فهى حرب مبادئ ، هى ثورة يناضل فيها الألمان إلى جانبنا ، أو نحن نناضل إلى جانبهم لمكافحة نوع من الحكم الذى لا يطاق فليست هذه حرباً دولية ، ليست حرباً بين حكومتين ، ولكنها حرب بين نوعين من أنواع الحكومات ، حرب بين الديمقراطية والدكتاتورية ، أو بعبارة أخرى هى حرب بين الحرية والاستعباد

لقد كتب كثير من اللغو عن كلمة الحرية . وأنا أقرر هنا أن الحرية المطلقة أمر ليس فى الإمكان . فأنا إذ أقول إننى حر فى أن أكتب ما أشاء — هنا — فلا أستطيع أن أكتبه فى ألمانيا أو إيطاليا أو روسيا ، لا يصح أن يقال لى أن الصحافة هنا فى أيدى أصحاب رءوس الأموال ، وهم لا يسمحون لك بأن تنشر إلا ما يتفق وأغراضهم . فأنا حر فى أن أكون من الرأسماليين ، وأخرج صحيفة خاصة بى إذا استطعت ، وأنا حر كذلك فى أن أنشر آرائى فى كتاب خاص إذا وجدت الناشر ، والناشر حر فى أن يقبل أو يرفض نشر هذا الكتاب . وأنا حر فى أن أسبح فى شلالات نياجرا إذا لم تحد من حريتى قوة المياه المتدفقة . فالإنسان لا يكون محروماً من الحرية إلا إذا حرم القدرة لفعل كل ما يريد

فالحرية التى يزدهر نجمها فى البلاد الديمقراطية هى حرية الروح ، هى حرية الفرد فى أن يفعل ما تؤهله له كفاياته وظروفه الشخصية إذا لم تصطدم وحقوق غيره ممن لهم الحق كذلك فى الاستمتاع بحرياتهم ، وتلك ليست بالحرية الكاملة . فالحرية الكاملة شيء لا وجود له . وكذلك نحن نحارب هتلر لأنه يزعم لنفسه الحرية التامة فى أن يفعل كل ما يريد . فهذا نوع من الحرية ترى الحكومات الديمقراطية أن من واجبها أن تكافحه بكل ما لديها من قوة لأنه يتعارض وحرية الأمم المجاورة له

لقد عدنا إلى حياة الغابة اليوم ، لأن هتلر يريد ذلك . أليس هذا نوعاً من الجنون ؟ فإذا كان فى العالم أمة تخضع لشخص واحد أوليس من الجنون أن يبقى شبحه مهدداً للسلام

إن فكرة الحرب مقضى عليها إذا ارتفعت كلمة الشعب . فإذا كان الأمر على النقيض ، وكان صوت الأوتقراطية هو المسموع فسوف لا يرتاح العالم من شر الحروب

إن طريق السلام عسير ولا شك ، ولكنه واضح النهج بادى المعالم ، يراه كل بصير

لا هتلرية فى أرض الوطن

[ملخصة عن « سبكتاتور ، لندن »]

لم يمر على البرلمان ولا على الصحافة وقت أصبحت فيه المهمة الموكولة إليهما فى حاجة إلى عناية ويقظة كالوقت الذى نحن فيه . ومما لا شك فيه أن الديمقراطية لا تقدم على الحرب إلا إذا أفرغت كل ما لديها من الوسائل لاجتنابها . إذ الحرب وعلى الأخص الحرب العصرية — لا تخلو من خسارة موقوتة تقع على الديمقراطية نفسها . فالحكومة فى هذه الظروف على ثقة من أن حالة الحرب ستبرر كل ما تطلبه من النفوذ الدكتاتورى ، ومن ثم تعمل تحت تأثير هذا الشعور . فالحرية الشخصية يجب أن تحد إذا دعا الداعى

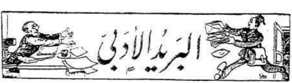
إلى التعبئة ، وإعداد العدة لحماية الوطن من الأعداء . وسائر قوى الشعب يجب أن تكون واحدة لنظام معين ، تسير عليه مجبرة إذا اقتضى الحال

هذه حقيقة لا جدال فيها . ولكن هل معنى ذلك أن قبول الحرب أو الدخول فيها يقضى على الديمقراطية ، ويمحو وجودها بحيث يصبح الشعب البريطانى كالشعب الألمانى خاضعاً خضوعاً تاما للدكتاتورية العمياء ؟ الجواب لا ، بلا شك . فهذه الأمة لا ترجو يوماً من الأيام أن تعمل على رفع مستواها الحربى بتوجيه النقص إلى تلك المميزات التى كانت مصدر قواها وفخارها أيام السلم

إن العقلية الانكليزية ليست كالعقلية الألمانية . فالألمانيون سواء فى الحرب أو السلم لا يكرهون الاستعباد ، ويريدون أن يكونوا على الدوام تروساً فى الآلة الحكومية التى يديرها الحاكمون

ولكنا لا نستطيع أن نستغل الشعب البريطانى إذا حاولنا أن نعامله على هذا النحو من المعاملة . فالانجليز يفهمون روح التعاون الرياضى فهم يقادون ولكن لا يساقون . فإذا أردنا أن نفوز فى هذه الحرب فلن يكون ذلك بمحاكاة الروح الألمانية . ولكن بالمحافظة على روحنا الخاصة ، وتنمية فضائلنا المتأصلة وإذكاء روح الحرية وتوجيهها ضد قوى الاستعباد

إن الحرب تجابهنا مرة واحدة بنقائض الديمقراطية جميعاً وهى فى أشد أحوالها . فالحالة تقضى بأن يساس أبناء الأمة بشىء من القوة ، ولكن دون أن يفقدوا هم سياسة أنفسهم . ولحل هذه المشكلة لجأت الحكومة إلى وجهتين : الأولى هى الاحتفاظ بالحياة النيابية كاملة ، وإعطاء الأعضاء الحرية التامة فى مناقشة كل شىء . والثانية : حرية الصحافة ، ولم يسىء البرلمان ولا الصحافة استعمال هذه الحرية . بل لقد كان الأمر على نقيض ذلك ، فقد ظهر كل منهما — وعلى الأخص مجلس العموم — عزمه الصحيح على توحيد الرأى، والعمل على محو كل اختلاف، وقبول كل تضحية فى سبيل المصلحة العامة .



اتحاد دولي لضمان السلام

إفتتحنا العدد ٣٣٦ من الرسالة الذى صدر بتاريخ ١١ ديسمبر سنة ١٩٣٩ بمقال عنوانه (سياسة السمك) قلنا فيه إن الدويلات الصغيرة ليس لها بعد انتصار الديمقراطية إلا أن تنظر « فى يومها وفى غدها فتعالج ضعفها بما تعالج به الطبيعة ضعف النمل والنحل وهو التجمع والتكتل والتعاون ، فيكون بين البلدان المتجاورة كدول البلطيق وأمم البلقان وشعوب الإسلام شبه ما بين الدول المتحدة فى أمريكا من اتحاد السياسة الخارجية والدفاع العام والدستور المشرع والرئيس الحاكم . وإذن لا يبقى على الأرض أمة صغيرة يقوم على استعمارها النزاع ، ويميل من جرائها ميزان السلامة » ثم ضربنا مثلاً باتحاد بلاد الوطن الإسلامى الأربعة عشر ، وقلنا بعد أن ذكرنا الخطأ الذى قام عليه صلح (فرساى) : « سيفكر الحلفاء الديمقراطيون متى جلسوا إلى مائدة الصلح فيما جنوا من (عصبة الأمم) ويقررون إذا وفقهم الله أن ينشئوا السلم العالمية الدائمة على قواعد من التركيب لا من التحليل ، فيؤلفوا من الأمم الصغيرة المتقاربة فى الوطن والجنس والمنفعة اتحادات مستقلة ، تتحد فى الرياسة والحكومة والدستور ، وتشترك فى الدفاع والسياسة والعمل ، ثم يربطوا بين الدول العظمى والاتحادات الكبرى بروابط وثيقة من الاقتصاد العادل الذى يضمن لكل أمة سداد عوزها من خير الله وغلة الأرض . . . »

ذلك ملخص ما قلناه فى ذلك المقال . ومن توارد الخواطر أننا قرأنا فى عدد الهلال الذى صدر فى أول يناير من سنة ١٩٤٠ صفحة ٣٥٧ أن الكاتب الصحفى الأمريكى (كلارنس سترايت) أصدر كتاباً سماه (الاتحاد الآن) دعا فيه إلى إنشاء ولايات متحدة عالمية على نسق الولايات المتحدة الأمريكية . فهو يقترح أن تتحد الدول الديمقراطية الخمس عشرة معاً ليتألف من جميع شعوبها شعب واحد له حكومة واحدة وبرلمان واحد وقوة حربية واحدة » ثم ذكر الديمقراطيات الخمس عشرة كما ذكرنا شعوب الإسلام الأربعة عشر ، ثم قال : « وتحتفظ هذه الدول بملوكها ورؤسائها ووزرائها كما تبقى على لغاتها وثقافاتها وكتبها التاريخية وألويتها المميزة لها ، وتستقل كل منها بإدارة شؤونها الداخلية . أما جيوشها وأساطيلها وسياستها الخارجية فتوحّد معاً فى قبضة هيئة واحدة تتخذ لها مقراً فى جنيف أو أتاوا » إلى أن قال : « وقد تبدو هذه الفكرة خيالاً بعيد المنال ، ولكن هكذا كان الأمر قبل أن تأتلف الولايات المتحدة الأمريكية فى شعب واحد وتحت حكومة واحدة . كانت هذه الولايات متعادية متنافرة ولكن حرب الاستقلال ألفتها ووحدتها . فلم لا تؤلف الحرب القائمة هذه الديمقراطيات التى تتهددها الدول الطاغية وتحاول أن تفترسها واحدة بعد أخرى ؟ »

الشيخ عبد العزيز البشرى والعريان

لا تنسينْ تلك العهود، فإنما سميت إنساناً لأنك ناس

اختلاف النهار والليل ينسى اذكرا الصبا وأيام أنسى

أنشدت بيت حبيب وبيت شوقى لما قرأت هذه الجملة فى الثقافة الغراء فى آخر أجزائها : « لا أدرى لماذا تُرك المسكين عُرياناَ ، لا أثر للنقش ، ولا للكتابة فيه ؟ » . وهى فى مقالة لأخينا العالم الأديب الكبير الشيخ عبد العزيز البشرى عنوانها « فن الإعلان » وقلت : لقد أنسى الشيطان فضيلة الشيخ الأستاذ بيتى الألفية :

وزائدا فعلان فى وصف سلم من أن يُرى بتاء تأنيث خُتم

ووصفٌ أصلىٌ ووزن أفعلا ممنوع تأنيث بتا كأشهلا

وقال صاحب (جوف الفرا) :

وكل وصف، تاء أنثى لاتلى فاصرف كعريانٍ وما كأرمل

إن العلماء لينسون ، وإن الأئمة ليخطئون ، وإنما العصمة لله ولرسوله محمد وحدهما .

« طنطا » أزهرى

حساب الخطأين لا حساب الخطين

إن إحياء ذكرى ابن الهيثم من أجل الأعمال التى قامت بها الجمعية المصرية للعلوم الرياضية والطبيعية بالقاهرة . وقد قابله العرب فى مختلف الأقطار بالشكر والرضى والتقدير ، إذ يرون فيه خطوة نحو بعث الثقافة العربية ومحاولة موفقة لأحياء علماء العرب ونوابغهم الذين خدموا الإنسانية وكان لهم فضل كبير على تقدم الحضارة .

ولقد سبق أن نشرنا عدة مقالات عن ابن الهيثم في المقتطف والمعرفة (أيام صدورها) والرسالة . وأتينا على بعض مآثره في كتاب « نواح مجيدة من الثقافة الإسلامية » وأذعنا عنه حديثين في لاسلكي فلسطين ودعونا (ولا نزال ندعو) إلى تمجيد علماء العرب الذين أضافوا إلى كنوز المعرفة إضافات أدت إلى نمو العلوم واتساع أفق التفكير كما دعونا إلى نفض غبار الإهمال وإزالة غيوم الغموض المحيطة بآثارهم ومآثرهم

لهذا كان سرورنا عظيما حينما قرأنا في الصحف نبأ الاجتماع الرائع الذي عقد في قاعة جامعة فؤاد الأول الكبرى إحياء لذكرى ابن الهيثم ، وقد شهد هذا الحفل أمير عظيم من أمراء البيت المالك الكريم وجمهور كبير من أساتذة الجامعة وصفوة مثقفة من رجال مصر ، وتكلم فيه عدد من أساطين العلم وأمراء البيان

وظهر في الرسالة عدد ٣٣٨ الكلمة التي ألقاها الأستاذ الدكتور محمد محمود غالي في الحفل المذكور عن (الهندسة وابن الهيثم قديماً وحديثاً) فأقبلت على قراءتها رغبة وشغف . وقد لفت نظري اسم كتاب ورد في الكلمة فذكر الدكتور كتاب (حساب الخطاين) من بين أسماء تصانيف ابن الهيثم التي تمت إلى علم الهندسة مع أن المصادر (أخبار العلماء وطبقات الأطباء وغيرها) لا تشير إلى كتاب بهذا الاسم، بل تشير إلى كتاب آخر موضوعاته حسابية ليس فيها شيء من الهندسة ، والكتاب الذي تشير إليه هو (حساب الخطأين) الذي يبحث في إيضاح طريقة حساب الخطأين — وهي إحدى الطرق الأربع التي كانت يستعملها العرب لاستخراج المجهولات . أما الطرق الأربع فهي : طريقة الأربعة المتناسبة، وطريقة حساب الخطأين، وطريقة التحليل والتعاكس، وطريقة الجبر والمقابلة

هذه ملاحظة بسيطة على كلمة الدكتور القيمة، ولي من إخلاصه للحق والحقيقة ما يشجعني على إبدائها ولفت نظره إليها

(نابلس) قدري حافظ طوقان

تكريم الأساتذة المصريين في كلية الحقوق العراقية

طلاب كلية الحقوق العراقية مشهورون بوفائهم لأساتذتهم فهم لا يألون جهداً في إكرامهم وطاعتهم . وقد أقاموا أمس حفلة شائقة تسر الناظرين تكريماً للأساتذة المصريين الجدد الذين شرفوا بغداد في هذا العام . وكان يتقدم المدعوين أصحاب المعالي وزراء الحكومة العراقية، وأمراء الجيش وقادتهم ، وقناصل الدول العربية وكبار الموظفين . وكانت الحفلة رائعة كل الروعة خطب فيها خطباء كثيرون ، وكل منهم أثنى على مصر ثناء عاطراً . وألقى الشاعر مصطفى كامل ياسين قصيدة عصماء استعيد أكثر أبياتها . وبعد أن انتهى الخطباء العراقيون تفضل الأستاذ الدكتور عثمان خليل عثمان فارتجل خطاباً ممتعاً بالنيابة عن إخوانه الأساتذة المصريين كان له أبلغ الأثر في النفوس . وكان مسك الختام خطاب عميد كلية الحقوق الأستاذ الكبير منير القاضي . ودامت الحفلة ساعتين وانفض المدعوون وكلهم يلهجون بالثناء على عميد الكلية وأساتذتها وطلابها

ضياء شيت الخطاب

عبث الناشرين وأصحاب المكاتب

زور أحد الناشرين كتاباً على الدكتور طه حسين بك وقد رأينا في العام الماضي شيئاً مثل ذلك منسوباً إلينا وإلى الأستاذ توفيق الحكيم . وقد اشترى صاحب مكتبة الجامعة مائتي نسخة من رواية اللصوص كانت باقية لدى مترجمها الأستاذ عبده حسن الزيات . ثم شاءت ذمة التاجر أن يستبدل بغلافها غلافاً آخر كتب عليه من الصفات والألقاب ما أنكره الأستاذ واحتج عليه . وهذه حال من الفوضى المحزنة لا يليق بحماة الحق وحراس العدالة أن يدعوها تستمر .

كلبة يزيد

سألتنا الآنسة فوقية كامل عن تاريخ كلبة يزيد بعد أن سألت (الأهرام) فلم تجد الجواب. وقد بحثنا فيما بين أيدينا من كتب الأمثال واللغة فلم نجد لهذه الكلبة ذكراً. ويظهر أن إيراد المثل على هذه الصورة خطأ ، فإن أكثر الناس يرويه : (أبخل من كلبة ميت يزيد) وميت يزيد قرية من قرى مديرية الشرقية فلعل أديباً من أهلها يروي لنا ما يتناقلونه من قصة هذه الكلبة البخيلة

حول مقال

سيدي الأستاذ الكبير زكي مبارك :

أحييك تحية مصدرها الإعجاب بأدبك العالي وحسن نقدك وغيرتك على اللغة العربية والدين . وبعد ، فقد وقع في يدي منذ مدة عدد الهلال الممتاز « العرب والإسلام » ، فوجدت فيه مقالة عنوانها « تركيا المسلمة ومصطفى كمال والإسلام » بقلم الأستاذ حسن الشريف ، وفيها ينتقد اللغة العربية ويقرر أنها غير صالحة للعصر الحاضر من حيث صعوبة حروفها في القراءة والكتابة ، وعدم قبولها للاختزال ، وتعدد معانيها . ويقول أيضاً : إن الطفل

فى المدارس الابتدائية يستطيع بعد ستة شهور أن يقرأ معظم المكتوب باللاتينية قراءة تكاد تكون صحيحة ، بينما هو لا يستطيع أن يقرأ سطراً عربياً من دون أن يخطئ فى قراءة كل كلمة . بل إننا نحن الكبار ، وقد درسنا العربية دراسة لا بأس بها لا نسلم من التعثر فى دواوين الشعر ... وقد أورد هنا بيتين من الشعر دليلاً على ذلك . كما أنه قد تعرض فيها لإلغاء مصطفى كمال للمادة التى تنص على أن « الإسلام دين الدولة » .

فأرجو من سيدى الأستاذ أن يطلع على هذا المقال ويبين رأيه فيه ، ويمحصه على صفحات مجلة « الرسالة » الغراء .

سليم الحجيرى

اختلاف الأزياء المصرية

إلى حضرات أساتذة العلم ورجال البحث والتاريخ أتقدم إلى ساحة علمهم بالسؤال الآتى وهو : «ما سبب اختلاف زى المصريين» ؟

إن الناظر إلى الزى المصرى يرى أن له أشكالاً عدة وأنواعاً مختلفة سواء فى ذلك ما كان خاصاً منه بالنساء أو الرجال حضريهم وريفيهم ، حتى ليختلف زى ريف عن آخر . فنرى أن ما تتحلى به زوج السويفى أو المنياوى ترفضه زوج المنوفى أو الشرقاوى . وقل مثل هذا فى أنواع البرد والملاءات حتى فى الأحذية

ولقد شغلت ببحث هذا الاختلاف عدة سنين غير أنى لم أوفق توفيقاً يرتاح إليه الضمير . فإنى إذا رجعت إلى العصور القديمة وقابلت بين أهلها حتى العصر الحديث كما فعل العلامة حفنى بك ناصف - رحمه الله - لمعرفة أسباب اختلاف الأزياء وتعدد اللهجات المصرية ، غم على الأمر وأشكل ؛ فإنى إذا عللت مثلاً لبس العمامة الكبيرة البيضاء فى بعض مديريات الجنوب بأنها لاتقاء وهج الشمس فلا أجد علة للبس الزعبوط الأسود فوق كل منمنم ومعلم من الثياب . الأمر الذى لا يتفق مع الطقس أو الطبيعة فى شىء هناك . فهل ذلك راجع إلى عادات مصرية قديمة ؟ وإذا كان الجواب بالإيجاب فهل لتعدد الإقطاعيات والمعبودات دخل فى ذلك ؟ أو أنه راجع إلى حالات نشأت من تعدد الفاتحين لمصر . وإذا كان ذلك كذلك فأيها بقى وأيها ذهب وما علة كل ؟

وإذا كان الجواب نفياً فهل يرجع ذلك إلى عوامل محلية للطبيعة والجو والحالة الصحية أو العلمية والفكرية دخل فيها ؟ وإذا كان الجواب نعم فبماذا نعلل بقاء ما لا يتفق منها مع هذه العوامل ؟ فهل يتفضل حضراتهم ببحث واف شاف فى هذا الموضوع

محمد عبد الجواد حبيب

تصويب

ذكرنا حين تكلمنا عن كتاب تاريخ الطب فى العراق بالعدد ٣٣٥ أنه من تأليف الدكتورين : هاشم الأثرى ، ومعمر خالد الشابندر . وصحة الإسم الأول : هاشم الوترى لا الأثرى .

اختلافهم رحمة

قرأت فى عدد (الرسالة) المؤرخ ١٣ نوفمبر سنة ٣٩ ، مقالة الأستاذ الطنطاوى : (من هو المسلم ؟) . والأستاذ مهما كان موضوعه عادياً لا بد أن يكسوه بقلمه البارع وإيمانه البالغ حلة قشيبة تستدعى الالتفات إليه والاهتمام به . وهو فى نظرى من أدبائنا الذين يخدمون بقلمهم الإسلام ويعملون على تجديده ، بعدهم فى ذلك اطلاع على روح الإسلام ونصوصه لم يتهيأ لغيرهم ، ولذلك لا يحق لنا أن نمر بما يكتبه فى هذا الصدد مر الكرام . وبهذا النظر أحب أن تتفضل علىّ الرسالة بشطر من صفحاتها القيمة لأشارك الأستاذ فى هذا البحث وفى مسألة هامة من مسائله التى ألم بها إلمام المرشد ، وهى مما لا يسوغ تعريف جمهرة القراء بها على هذا النمط لا سيما أن الأستاذ لم يتناولها بما عرفنا عنه من النظر المنقب والفكر المجدد ، بل اتبع فيها القول الشائع . وأنا لم أتوفر الآن لإعطاء هذه المسألة حقها من البحث ، وإنما أريد أن أصحح هذا القول الشائع حتى لا يمر به بعد اليوم من أدبائنا ومفكرينا من يقيم له وزناً . قال الأستاذ : « إنه لا يضر الناس اختلافهم فى الفروع (فكلهم من رسول الله ملتمس) سواء فى ذلك الحنفى منهم والشافعى والمالكى والحنبلى . بل إن اختلافهم رحمة من الله وتوسيع على الأمة . ولكن يضر الناس اختلافهم فى أصول الدين من العقائد ونحوها ، ويكون الواحد منهم مصيباً والباقون على ضلال . لأن الحق لا يتعدد ، والمصيب هو من اتبع ما كان عليه النبى (ص) وأصحابه والقرن الأول خير القرون »

فالذى يبدو من هذا الكلام أن الأستاذ يجارى متأخرى الفقهاء من جعلهم اختلاف الأئمة رحمة للأمة وتوسيعاً على الناس فى عباداتهم ومعاملاتهم ليختاروا من أقوالهم ما فيه اليسر لأحوالهم ، كما أنه يرى أن اختلاف أنظار المجتهدين فى الأصول ممنوع لأنه يستدعى اختلاف الحق وتعدده . وهذا التعليل نفسه رد على اختلافهم فى الفروع أيضاً . والحق الذى لا ريب فيه أن الاختلاف لم يكن له مورد إلا فى الأمور الظنية والمشاكل



اقتباس الروايات

الاقتباس من المسرحيات الأجنبية عمل على كثير من الصعوبة؛ ولكننا نلاحظ دائماً أنه يحول دون تصوير جو المسرح الذى يريده المؤلف . ولسنا نعلم لماذا لا تخرج الفرقة ما تريد من المسرح الفرنجى كما هو ؟ ولا نعلم سر غرام الأستاذين سليمان نجيب وعبد الوارث عسر بهذه الطريقة ! فلا الروايات تبقى فرنجية الحوادث والمناظر والجو ، ولا هى يمكن أن تلبس قناعاً مصرياً كاملاً يخفى ملامحها الحقيقية ! ونحن نطالب الفرقة فى إلحاح بأن تكف تماماً عن إخراج الروايات المقتبسة ، فضلاً عن الروايات الفرنجية التافهة التى يضعها كتاب مغمورون . وما دام الأدب المسرحى فى بلاد الغرب دائم التجدد ، فلماذا لا تعهد الفرقة إلى بعض المجيدين بترجمة أحدث المسرحيات الناجحة لكبار المؤلفين كبرنارد شو وسواه ؟ !

القاتل !

الأستاذ يوسف وهبى ممثل قديم ومؤلف مسرحى قديم ، أصبح له طابع خاص يميزه ولا يشذ عن معالمه وهو يذكرنا — مع الفارق — بالفنان الإنجليزى المعاصر العظيم « ناول كوارد » من حيث أن كليهما يضع المسرحيات بقلمه ، ويقوم بالإخراج ويرتب المناظر ويوزع الضوء وغير ذلك مما يمكن الفرد الواحد أن يقوم به من أعمال المسرح

وهو يميل إلى الروح المصرية البحت ويصوّر العقلية والتقاليد والمعتقدات الشعبية بقدر ما يواتيه التوفيق . فهو أحياناً يساير طبيعة الأشياء وجريان أحداث الحياة فتكون العبرة والموعظة الحسنة . وهو أحياناً يسخّر من قلمه أقداراً مجنونة تقتل وتفسق وتسفك الدماء . فيبتعد بهذا كله عن طبيعة الأشياء فيكون الفشل والبعد عن إرضاء الجماهير

ومسرحيته الجديدة « القاتل » هى من طراز مسرحياته الأخرى ، مصرية صميمة فى كل كبيرة وصغيرة . وليس هنا مجال عرضها أو نقدها فى تفصيل . وهـذا لا يحول دون التنبيه إليها بوصف أنها عمل فنى جديد

الجزئية التى يتسع فيها مجال القول ويختلف النظر إليها باختلاف الأحوال والأزمان. وطبيعة الأصول تتنافى مع ذلك فإنها لم تسم كذلك إلا بعد أن أجمع عليها النظار وتناولتها الأجيال بالتسلم والقبول لأنها ليست مظنة اختلاف ولا موضع تأويل بخلاف الفروع . وقد بحث هذه المسألة الإمام الشاطبى فى كتابه : « الموافقات » ج ٤ ص ٧١ فأبان أن الشريعة لا خلاف فيها بالحقيقة أصولاً وفروعاً ، وأن منشأ الاختلاف فى الفروع الأمور الظنية التى يتسع فيها مجال القول بالنسبة لأنظار المجتهدين لا بالنسبة للشريعة التى نفى الله عنها فى كثير من آيات القرآن الاختلاف والتفاوت . وقد تعرض بعد ذلك للحديث المأثور : « أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » فذكر أنه مطعون فى سنده ، وهو لا يعارض الآيات الصريحة من حيث التزام الوفاق فى أحكام الشريعة. ثم استطرد إلى موقف المكلفين من الاختلاف وقال إن المجتهد لا يسوغ له العمل بأحد الدليلين من غير ترجيح كما لا يسوغ للمقلد العمل بقول المجتهد إلا بعد الاطمئنان والتبصر فى حال المجتهدين إن تيسر له ذلك وإلا فلا يحق له اتباع أحد القولين كما يستدعيه هواه ويقتضيه حاله (وعليه أن يستفتى قلبه) كما قال الرسول (ص)

وأما ما أثر من مدح لاختلاف فى الفروع كما روى عن عمر ابن عبد العزيز إذ قال فى اختلاف الصحابة « أما يسرنى أن لى باختلافهم حمر النعم » فمناط هذا عدم الحجر على الأنظار فيما ليس فيه قطع وهذه هى السمة التى شرع من أجلها الاجتهاد لا ما يجعل المكلف فى حيرة من العمل بالأقوال المختلفة دون تبصر واطمئنان. ثم قال فى فصل ثان ما نصه : « وقد أدى إغفال هذا الأصل إلى أن صار كثير من مقلدة الفقهاء يفتى قريبه أو صديقه بما لا يفتى به غيره من الأقوال اتباعاً لغرضه وشهوته أو لغرض ذلك القريب وذلك الصديق. ولقد وجد هذا فى الأزمنة السالفة فضلاً عن زماننا هذا كما وجد فيه تتبع رخص المذاهب اتباعاً للغرض والشهوة » أقول وفى زماننا هذا أصبحت هذه القضية مصدر الحيلة لتجار الشيوخ فى إجابة المستفتى لحل مشكلة أو تفادى حرمة فى الدين . وعلى قدر ما يدفع السائل من المال، تتسع أمامه الحيل وتكثر الأقوال. فماذا يقول أمثال هؤلاء فى قول الله تعالى : (وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم)

(نابلس) حلمى الإدريسى

دنانير !

جارية كانت لجعفر البرمكي ، نسج حولها صديقنا « رامي » هيكل قصة سينمائية تخرجها شركة أفلام الشرق وتلعب دور البطولة فيها « أم كلثوم » وهي تصور عصر الرشيد ونكبة البرامكة، وتعرض لكثير من شخصيات هذا العصر في مقدمتهم الخليفة هرون الرشيد نفسه ، والشاعر الأشهر أبو نواس . وسوف يبدأ العمل في استديو مصر في منتصف فبراير القادم

لجان محطة الإذاعة

في محطة الإذاعة لجان كثيرة جديرة بالحديث . هنالك لجنة البرامج العليا برأسها الدكتور على ابراهيم باشا وتنتظم في عضويتها حسن باشا رفعت وطه حسين بك ممثلين للحكومة ، وكلا من المستر « ويلاني » والمستر « فرجسون » ممثلين لشركة ماركوني اللاسلكية ، ويحضر اجتماعاتها الأستاذ سعيد لطفي بك لتقديم البيانات والإيضاحات التي توضح للأعضاء المجتمعين سبيل بحث ما يعرضون له من المسائل

وهذه اللجنة استشارية تقريباً ، ولا تعرض لتفاصيل البرامج إلا في النادر ، وتجتمع قليلاً جداً ، ولا ندري السر في وجودها وتأليفها على هذا النحو المختلط

وهنالك لجنة الأغاني ، وقد غمزناها لتتحرك في الأسبوع الماضي ولكنها لم تفعل! وهي مؤلفة من رؤساء أقسام المحاضرات والمسرحيات والموسيقى الشرقية والاسطوانات ومساعد المدير الفني الشرقي وهو الأستاذ عبد الرحمن سامي

وقد ناقشنا الأستاذ لطفي بك في تأليف هذه اللجنة على هذا النحو الذي يتيح لغير الفنيين أن يحكموا على آثار شعراء البلاد ومؤلفي الأغاني فيها ، فقال إنه يريد أن يعطي لكل الموظفين أقساطاً من العمل والمسئولية ، لأنهم شبان يجب أن يتاح لهم حظ كاف من المرانة حتى ينضجوا في المستقبل !

والمعروف أن الشعراء الذين تفجعهم هذه اللجنة في آثارهم ليس لهم ذنب في أن موظفي المحطة شبان يجب لهم التشجيع !

هذه اللجنة مفترض في وجودها أن تجتمع كل أسبوع للنظر فيما يقدم إليها من الأغاني ، ولكنها لا تجتمع فعلاً إلا كل بضعة أسابيع . وقد تستعلم عن هذا فيقول لك كل عضو فيها إنه مرهق بعمله الخاص بمكتبه ، وعمل هذه اللجنة إضافي « كالسخرة » ! وقد بلغ « المخزون » من الأغاني لدى اللجنة ثلاثمائة قطعة . وقد مضى على بعض القطع بضعة شهور وأصحابها لا يعرفون عن قبولها أو رفضها شيئاً !

وثالثة الأثافي أو اللجان هي لجنة البرامج المحلية التي تجتمع يوم الأربعاء من كل أسبوع . وأعضاؤها هم رؤساء الأقلام ؛ ويشهد اجتماعها مدير الإدارة الإنجليزي . وعملها قاصر على تنظيم الإذاعات التي وافقت عليها المحطة ، حتى لا تصطدم أجزاء البرامج أو تزيد أجورها عن الاعتمادات المالية المرصودة في ميزانية كل أسبوع

وليس على هذه اللجنة لوم فيما قد يأخذه المستمعون على البرامج فعملها قاصر على الترتيب كما قدمنا . وليس لها دخل في قبول الإذاعات أو رفضها إذ أن سلطة القبول والرفض هي بيد الأستاذ لطفي بك فيما يختص بجميع البرامج العربية . سوى الموسيقى ، والأخيرة من اختصاص الأستاذ مصطفى بك رضا وهو رجل مشهور بطيبة قلب لا نظير لها .

هذه هي لجان الإذاعة وأعمالها وأعضاؤها ، فلمن الشكوى !

(أبو الفتح الاسكندري)

إلى حضرات المشتركين

تعلن إدارة الرسالة حضرات الذين لا يجددون اشتراكهم قبل منتصف شهر يناير أنها ستحجز المجلة عنهم ابتداء من العدد القادم

{ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولي — عابدين }